القواعد الطيبات في الأسماء والصفات

لابن القيم • والشنقيطي • وابن عثيمين

اعتنى به وعلق عليه

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

مكتبة أضواء السلف

القواعد الطيبات في الأسماء والصفات

لابن القيم والشنقيطي وابن عثيمين

اعتنى به وعلّق عليه

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

مكتبة أضواء السلف

حُقُوق الطّبْع مَحْفُوظة

الطّبعَة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

مكتبة أضواء السلف - الرياض - النسيم - أول شارع الأربعين التجاري بجوار بنده .

ت: ٢٣٢١٠٤٥ - ص ب ٩١٦٦٧ (لصاحبها علي الحربي)

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

* المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
* قطر: مكتبة ابن القيم - ت ٨٦٣٥٣٣.
* الكويت: دار إيلاف - ت ٨/ ٤٧٧٧٥٥٩.
* مصر: دار السلام - القاهرة - ت ٢٧٤١٥٧٨.
* باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت - ت ٨٣١٣٣١.

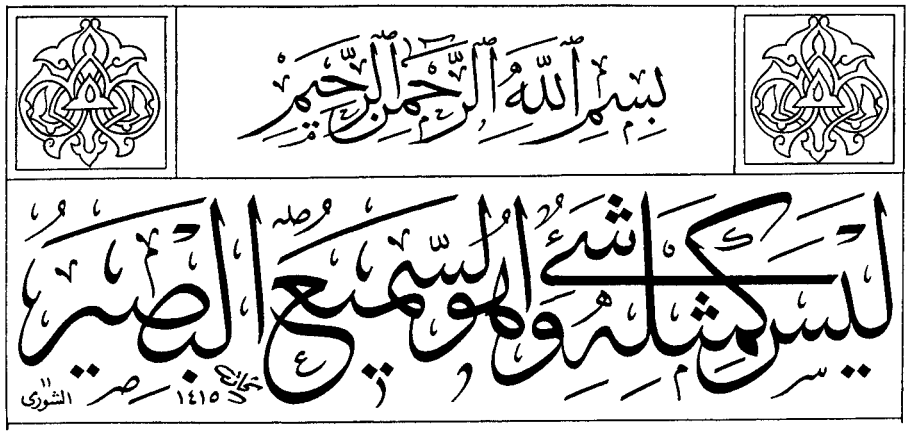
بسم الله الرحمن الرحيم
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
الشورى ١١ ١٤١٥

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أَنْفُسِنَا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضْلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إِله إِلَّا الله وحده لا شريك لَهُ وأشهد أن مُحمَّدا عبده ورسوله ..

أما بعد : فقد اقتضت رحمةُ العزيز الرحيم أَن بَعَث الرُّسل به مُعَرِّفينَ ، وإِليه دَاعِينَ ولمن أَجَابَهم مُبَشِّرينَ ، ولِمَن خالفَهُم مُنْذِرينَ ، وجَعَلَ مِفْتَاحَ دعوتهم ، وزُبدَةَ رِسَالَتِهم « معرفة المعبود سبحانه بأسمائِهِ وصفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ » ؛ إذ على هذه المعرفة تُبْنَىٰ مَطَالب الرِّسالة كُلُّها من أَوَّلِها إلى آخرها [1] .

فالعلم بأسماء الله وصفاته والفقه لمعناها والعمل بمقتضاها وسؤال الله بها يُوجِدُ في قلوب العابدين تعظيم البَاري ، وتَقْدِيسه ومَحَبَّته ، ورَجَاءه ، وخوفه ، والتَّوكُّل عليه ، والإنابة إليه ، بحيث يُصْبح الباري في قلوبهم المَثَل الأَعلىٰ الذى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ، وليس لأَحَدٍ هذه المكانة في قلوبهم ، وبذلك يُحَقِّق العبد التوحيد القلبي ، وتتحقَّق العبودية لله ، وتخضع القلوب لجلاله ، وتَسْكن النفوس لعظمته [2].

وإذا كانت علوم الدين أفضل العلوم ؛ فإن العلم الذى يُعَرِّفنا بالله أَفضل من غيره من العلوم . وكيف لايكون كذلك وهو يُعَرِّفُنا بصفة المعبود جلَّ وعلا .

من هنا كان لزامًا علينا أن نتعرف على « **توحيد الأسماء والصِّفات** » الذي يُعَدُّ أَحد رُكْنَي التَّوحيد ؛ إذ التوحيد الذي جاءت به الرُّسل نوعان :

نوع في العلم والاعتقاد ، ونوع في الإرادة والقصد .

---

(١) « شرح الطحاوية » لابن أبي العز (١ / ٦) .

(٢) « الأسماء والصفات » للدكتور عمر سليمان الأشقر ص (٢٨) .

ويُسَمَّىٰ الأول : التوحيد العلمي ، والثاني : التوحيد القصدي الإرادي ؛ لتعلُّق الأول : بالإخبار والمعرفة ، والثاني : بالقصد والإرادة . ومدار النَّوع الأَوَّل من التوحيد على إثبات صفات الكمال لله رب العالمين ، وعلىٰ نفي التَّشْبيه والمثال عنه ، وتَنْزِيهه عن العُيوب والنَّقائص [1] .

○ وهذا المجموع اللَّطيف الذى بين أيدينا خَيْرُ مُعِين للتَّعَرُّف على هذا النوع وقواعده بعيدًا عن آراء المتكلمين ، وأفكار المُتَكَلِّفين ، ومذاهب المُنْحرفين ، وهو يضم بين دفتيه : ثلاث رسائل نافعة :

الأولى : « القَوَاعد المُهِمات في الأَسْماء والصِّفات » للحافظ ابن القيم .

اسْتَلَلْتُهَا من كتابه الرائع « بدائع الفوائد » [2] .

الثانية : « منهج ودراسات في الأسماء والصفات » للشيخ الشنقيطى .

وهو عبارة عن محاضرة نافعة ألقاها في الجامعة الإسلامية بالمدينة .

الثالثة : « فتح رب البرية بتلخيص الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية »

للشيخ ابن عثيمين ، قرَّبَ فيه هذا المُؤَلَّف الرَّائع بأسهل أسلوب وأَوْجز عبارة .

○ هذا وقد قمت بتَنْسِيق الرَّسائل وضَبْط آياتها وأحاديثها وما يُشْكِل فيها من عبارات وألفاظ ، ووضعت عناوين وتعليقات مهمة ، وترجمت باختصار لِمُصَنِّفيهَا .

فجاء هذا المجموع اللَّطيف زبدة وخُلاصة لقواعد « توحيد الأسماء والصِّفات » ولذا سَمَّيْتُه بـ « **القواعد الطيبات في الأسماء والصفات** » سائلًا المولى جل وعلى أن ينفع به من قرأة وتدبَّره وتَفَهَّمه وعَلِمَه وعَلَّمه وآخر دعوانا أَن الحمد لله رب العالمين .

الإسماعيلية : ١ / صفر ١٤١٦ هـ .

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٢٤ ، ٢٥) .

(٢) الطبعة المنيرية .

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

○ **قال الحافظ الذَّهبي في « تذكرة الحفاظ »**(*) :

● **« ابن تيمية »**: الشيخُ الإمام العلامة الحافظُ النَّاقد الفَقِيه المجْتَهدُ المُفَسِّرُ البارعُ شَيْخُ الإسلام ، عَلم الزُهّاد ، نَادِرةُ العَصْر ، تقي الدِّين أبو العبَّاس أَحمد بن المفتي شِهاب الدِّين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مَجْد الدِّين عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحَرَّاني .

● **أَحَدُ الأَعْلام** ، **وُلِدَ** في ربيع الأَول سنة إِحْدَىٰ وسِتِّين وست مائة ، وقَدِمَ مع أَهْلِه سنة سَبْع ، فسمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسر ، والكمال بن عبد ، وابن الصيرفى ، وابن أبي الخير ، وخلق كثير .

● **عنى بالحَدِيث** ، ونَسَخَ الأَجزاء ، ودَارَ على الشيوخ ، وخَرَّجَ ، وانتقى ، وبَرَع في الرِّجال وعِلل الحَدِيث وفقهه ، وفى عُلُوم الإسلام وعلم الكَلَام وغير ذلك .

● **كَانَ من بُحُور العلم** ، ومن الأَذْكِياء المَعْدُودين ، والزُّهاد الأُفْراد ، والشُّجعان الكِبَار والكُرَمَاء الأَجْوَاد . أَثْنَىٰ عليه الموافِقُ والمُخَالِفُ ، وسارت بِتَصَانِيفه الرُّكبان ، لعلّها ثلاث مائة مُجَلّد .

● **حَدَّثَ بدمشق** ، ومصر والثَّغر . وقد امتُحن وأُوذِيَ مرّات ، وحُبس بِقَلْعة مِصر والقاهرة والإسكندرية ، وبِقَلْعة دمشق مرّتين . وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سَنة ثمانٍ وعشرين وسَبع مائة ، فى قاعة ، مُعْتقلًا . ثم جُهِّز وأُخرج إِلى جامع البلد ، فشهده أُمَم لا يُحْصَوْن ، فحُرزوا بِسِتِّين أَلْفًا . ودُفِن إِلى جانب أَخيه الإِمام شرف الدِّين عبد الله ، بمقابر الصُّوفية ، رحمهما الله تعالىٰ .

● **وَرُئِيَت له مَنَامات حَسَنة** ، ورُثي بِعدّة قَصَائِد . وقد انفرد بفتاوىٰ نِيل من عِرْضه لِأَجْلها ، وهي مغمورة في بَحْر عِلْمه . فالله تعالى يُسَامِحُه ويَرْضَىٰ عنه . فما رَأَيْتُ مِثْلَه . وكُلُّ أَحَدٍ من الأُمَّة فَيُؤْخَذُ من قَوْله وَيُتْرَك . فكان مَاذَا ؟ » إهـ .

○○○○

(*) تذكرة الحافظ رقم (١١٧٥) ص (١٤٩٦) بتحقيق المعلمى . ط . حيدر آباد الدكن .

الحافظ ابن قيم الجوزية

● **هو الإمامُ المحقق** الحافظُ الأصوليُّ الفقيه النَّحويُّ شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزَّرعي الدمشقي المشهور بـ : ابن قيم الجوزية .

● **ولد** في بيت علم وفضل في السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة في قرية زرع من قرى حوران تبعد عن دمشق خمسة وخمسن ميلًا جنوب شرقيها ، ونشأ على الزهد والتعبد وطلب العلم والتفاني في طلبه .

● **تحول** ابن القيم إلى دمشق وتتلمذ لطائفة من علمائها فأخذ عن أبيه ، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية حتى تفقه به وكان من عيون أصحابه .

● **قال الحافظ ابن رجب** : « كان عَارِفًا بالتَّفسير لا يُجَارى فيه وبأصول الدِّين ، وإليه فيهما المُنْتَهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله ، وبالعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام ، وبكلام أهل التَّصوف وإشاراتهم ودقائقهم » .

● **تلقى عنه كثير من العلماء** المشهود لهم بالفضل منهم الحافظ بن رجب الحنبلي المتوفى سنة (٧٩٥ هـ) والحافظ بن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) .

● **صنَّف** رحمه الله تصانيف كثيرة في الفقه والأُصول والعقائد والحديث والسِّيرة والرَّقائق وفي العلوم المختلفة وعلى سبيل المثال : إعلام الموقعين عن رب العالمين . اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المُعَطلة والجهمية . تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته . زاد المعاد في هَدْي خير العباد . الداء والدواء ، ومدارج السالكين ..

● **توفي** رحمه الله وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرون من شهر رجب سنة (٧٥١ هـ) ودفن بالباب الصغير .

○ ○ ○ ○

(*) راجع ترجمته في : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤٤٧/٢ ، ٤٥٢) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤/١٤ ، ٢٣٥) والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (٢١/٤ - ٢٣) .

العلامة محمد الأمين الشنقيطي

● **هو العلامة** الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي . واسمه مركب (محمد الأمين) وكذا اسم والده ، وذلك كثير معتاد في بلادهم .

● **ولد** عام (١٣٢٥ هـ) بالقطر المسمى : « شنقيط » وهو الجزء الشرقي من دولة موريتانيا الواقعة شرق المحيط الأطلسي ، وينتهي نسبه ـ رحمه الله ـ إلى يعقوب بن جاكن الأبر ، جدّ القبيلة الكبيرة المعروفة بالجكنيين ، ويرجع نسب هذه القبيلة إلى حمْيَر .

● **نشأ** في بيت علم ، نساءً ورجالًا ، وأمه ابنة عم أبية ، ودرس على أخواله وأبناء أخواله ونسائهم مبادئ العلوم وعلوم القرآن . وكان مالكي المذهب دون تعصب ؛ بل يذهب للدليل في الأحكام .

● **وفي عام** (١٣٦٧ هـ) قدم للحج ، وبدأ التدريس في المسجد النبوي ، وتعرف عليه المسؤولون ، وطلبوا منه البقاء في الحرمين للتعليم والمنفعة العامة .

وفي عام (١٣٧١ هـ) طُلب للتدريس في معاهد وكليات الرياض . ثم انتقل إلى المدينة النبوية للتدريس في الجامعة الإسلامية هناك .

● **له مؤلفات** منها : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن .مذكرة في أصول الفقه . أدب البحث والمناظرة . ألفية في المنطق . دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب .

● **توفي الشيخ** ضحى يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة عام (١٣٩٣ هـ) ، وكانت وفاته بمكة مرجعه من الحج ، ودفن بمقبرة المعلاة ، وصلى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الحرم المكي مع من حضر من المسلمين بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

○ ○ ○ ○

(*) راجع ترجمته : في مقدمة « أضواء البيان » بقلم تلميذه عطية محمد سالم .

الشيخ محمد الصالح العثيمين

- **هو** أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي .
- **ولد** في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٤٧ هـ .
- **تتلمذ** على يد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف . وقرا على سماحة الشيخ ابن باز حيث يعتبر شيخه الثاني فابتدأ عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .
- **لما** توفي الشيخ عبد الرحمن السعدي تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة خلفا له . ويعمل أيضا بالتدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالسعودية .
- **له** عدد كبير من المؤلفات القيمة المتنوعة وعلى سبيل المثال :

ففي العقيدة : « شرح لمعة الإعتقاد » لابن قدامة ، و« القواعد المثلى ».

وفي الفقه وأصوله : « الأصول من علم الأصول » ، « الدماء الطبيعية للنساء » .

والتفسير وأصوله : « أصول في التفسير » ، و« تفسير آية الكرسي » .

وفي الوعظ والإرشاد والدعوة : « الضياء اللامع في الخطب الجوامع » ٢/١ .

وغير ذلك من المؤلفات النافعة .

- **له** عدد كبير من الأشرطة والتسجيلات لكثير من الدروس النافعة لكثير من الكتب مثل « شرح زاد المستقنع » ، و« شرح بلوغ المرام » ، و« شرح صحيح البخاري » .

○ ○ ○ ○

(*) راجع : « علماؤنا » إعداد فهد البراك وفهد البرداني .

١

القواعد المهمات في الأسماء والصفات

للحافظ ابن قيم الجوزية

اعتنى به

ابومحمد اشرف بن عبد المقصود

مكتبة أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

○ قال الشيخ الإمام العالم وارث الأنبياء وقدوة العلماء ، المجتهد المفسر ذو الفوائد الحسان : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رحمه الله وأدخله الجنة . بعد كلام له سبق في « بدائع الفوائد » :

أقسام ما يجري صفة على الرب تبارك وتعالى(*)

□ ما يجري صفة أو خبرًا على الرَّب تبارك وتَعَالىٰ أقسام :

أحدها : ما يرجع إلى نفس الذات :

كقولك : « ذات » ، و « موجود » ، و « شيء » .

الثاني : ما يرجع إلى **صفات معنوية** :

كـ : « العليم » و « القدير » و « السميع » .

الثالث : ما يرجع إلى **أفعاله** :

نحو : « الخالق » و « الرزاق » .

الرابع : ما يرجع إلى **التنزية المحض** :

ولابد من تضمُّنِه ثبوتًا ، إذ لا كمال في العدم المحض .

كـ : « القدوس السلام » .

(*) العناوين من عندنا للإيضاح .

الخامس : ولم يذكره أكثر الناس وهو : **الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة** ، بل هو دال على معناه لا على مَعْنىً مفرد .

نحو : « المجيد » « العظيم » « الصَّمَد » .

○ فإن « **المجيد** » من اتَّصَفَ بصفات متعددة من صفات الكمال .

ولفظه يدل على هذا ؛ فإنه موضوع للسَّعَة والكثرة والزيادة .

- فمنه : « اسْتَمْجَدَ المَرْخُ وَالعَفَار »[1] ، وأَمْجَدَ الناقة علفًا .

- ومنه : ﴿ ذُو العَرْشِ المَجِيدُ ﴾ [البروج : ١٥] .

صفة للعرش لسعته وعظمه وشرفه .

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه ﷺ[2] ؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء

(١) جُزْءٌ من مَثَل أَوَّله : « فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار » أورده في : « غريب الحديث » للخطابي (٢ / ١٤٧) و « جمهرة الأمثال » لأبي هلال العسكري (٢ / ٩٢) و « كتاب الأمثال » لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣٦١) و « فصل المقال في شرح كتاب الأمثال » لأبي عبيد البكري (٢٠٢) و « مجمع الأمثال » للميداني (٢ / ٤٤٥) ، وقال فيه : « يقال : مَجَدَت الإبل تمجُد مُجُودًا ، إذا نالت من الخَلَى قريبًا من الشِّبع ، واستمجد المرخ والعفار : أي استكثرا وأخَذَا من النار ما هو حَسْبُهما ، شبّها بمن يكثر العطاء طلبًا للمَجْد » إهـ . والمرخ والعفار : نوع من الشجر سريع الاشتعال ، وفي « اللسان » (مرخ - عفر) قال الأزهري : « وقد رأيتهما في البادية ، والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي » إهـ . قال الزجاج في « تفسير أسماء الله الحسنى » ص (٥٣) : « فالماجد في اللغة : الكثير الشرف ، والله تعالى ذكره أَمْجَدُ الأَمْجَدين وأكرمُ الأكرمين » إهـ .

وقوله : أمجد الناقة علفًا : إذا أكثر علفها . « تفسير أسماء الله الحسنى » ص (٥٣) .

(٢) وذلك في قوله ﷺ في بيان صفة الصلاة عليه : « قولوا اللَّهمَّ صلِّ عَلَىٰ محمد وعَلَىٰ آل محمد ، كما صَلَّيتَ عَلَىٰ إبراهيم وعَلَىٰ آل إبراهيم إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .. » الحديث . =

وكثرته ودوامه ، فأتى في هذا المطلوب باسم تقتضيه .

كما تقول : « اغْفِرْ لي وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنت الغَفُورُ الرَّحِيم » .

ولا يَحْسُن : « إنك أنت السَّمِيع البصير » ؛ فهو راجع إلى المُتَوَسَّل إليه بأسمائه وصفاته وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه . ومنه : الحديث الذي في « المسند » و « الترمذي » : « أَلِظُّوا بِيَاذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ »[1] .

ـ ومنه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْد لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ المَنَّان بَدِيعُ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرامِ »[2] .

= رواه البخاري (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦) (٧٠) من حديث كعب بن عجرة .

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : أخرجه أحمد (٤ / ١٧٧) والنسائي في الكبرى ، كما في تحفة الأشراف (١ /١٦٧) والحاكم (١ / ٤٩٨ ـ ٤٩٩) من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

وأخرجه الترمذي (٣٥٢٢) (٣٥٢٥) من طريقين في أحدهما يزيد الرقاشي وهو ضعيف .

□ **فائدة** : قال الإمام النووي : « أَلِظُّوا ، بكسر اللام وتشديد الظَّاء المعجمة ، ومعناه : الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها » أ. هـ الأذكار ص (٦٢٥) .

(٢) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : رواه أحمد (٣ / ١٢٠ ، ١٥٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦) وأبو داود (١٤٩٥) والنسائي (٣ / ٥٢) والترمذي (٣٥٣٨) وابن ماجة (٣٥٣٨) والحاكم (١ / ٥٠٣) وصحَّحه ووافقه الذهبي ، وصحَّحه ابن حبان (٢٣٨٢) وقال السَّخاوي كما في « الفتوحات الربانية » لابن علان (٧ / ٢١٣) : « حَدِيثٌ حَسَنٌ » ، وقال الأرناؤوط في تخريج « شرح السنة » للبغوى (٥ / ٣٧) « إسناده صحيح » .

□ **فائدة** : قال ابن الأثير في النهاية (٤ / ٣٦٥) : « المنان هو المعطي من المنِّ ، لا من المنة ، وكثيرًا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه ، فالمنان من أبنية المبالغة كالسفاك والوهاب » إهـ . وقال ابن علان : « المنان : أي كثير المِنَّة ، وهي النعمة أو النعمة الثقيلة ، والمنة مذمومة من المخلوق ؛ لأنه لا يملك شيئًا من النعم التى يمن بها ، محمودةٌ من الخالق ؛ لأنه المالك لما أنعم به على الحقيقة » إهـ .

فهذا سُؤَالٌ له وتَوسُّلٌ إليه وبحمده ، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان .
فهو توسُّلٌ إليه بأسمائه وصفاته .
وما أحق ذلك بالإجابة وأَعْظمه موقعًا عند المسئول ؟
وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد أشرنا إليه إشارة ، وقد فُتِحَ لمن بَصَّرَهُ الله ، ولنرجع الى المقصود : وهو « **وصفه تَعَالىٰ بالاسم المتضمن لصفات عديدة** » :

○ فـ : « **العظيم** » من اتّصف بصفات كثيرة من صفات الكمال .
○ وكذلك : « **الصَّمد** » :
* قال ابن عباس : « هو السَّيد الذي كَمُل في سُؤْدُده »[1] .
* وقال أبو وائل : « هُو السّيّد الذي انْتَهَىٰ سُؤْدُده »[2] .
* وقال عكرمة : « الذي ليس فوقه أحد »[3] .

---

(١) **أثرٌ في إسناده ضَعْف** : يأتي كاملًا مع تخريجه ص (٣٧) .
(٢) **أثَرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٣٠ / ٣٤٦) وابن أبي عاصم في « السنة » (١ / ٣٠٠) وابن أبي حاتم كما في « تفسير سورة الإخلاص » لابن تيمية ص (٦١) من طُرُق عن الأعمش عنه ، وإسناده صحيح .
وجاء أيضًا : من طريق عاصم بن بهدلة عن شقيق عن ابن مسعود به .. فجعله من قول ابن مسعود ، أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١ / ٢٩٩) وإسناده حَسَنٌ .
* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في « تفسير سورة الإخلاص » ص (٤١) : « وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلمة » إهـ .
□ **تنبيه** : وقع في « المطبوعة » : ابن وائل ، والصواب : أبو وائل ، وهو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي مخضرم من التابعين . ترجمته : في السير (٤ / ١٦١ - ١٦٦) .
(٣) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في « تفسير سورة الإخلاص » ص (٤١) من طريق أبي إسحاق الكوفي عنه ثم قال : « ويروى هذا عن علي » إهـ .

* وكذلك قال الزجاج : « الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ السُّؤْدد ، فَقَد صَمَدَ لَهُ كل شيءٍ » . وقال ابن الأنباري : « لا خلاف بين أهل اللغة أن الصَّمد السَّيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يَصْمُد إليه الناس في حَوَائِجهم وأُمُورهم »[1] .

واشتقاقه يدلُّ على هذا ؛ فإنه من : الجمع والقصد ، الذي اجتمع القصد نحوه ، واجتمعت فيه صفات السُّؤدد[2] .

وهذا أصله في اللغة كما قال[3] :

أَلَا بَكَّرَ النَّاعِي بِخَير بَنِي أَسَدْ
بِعَمْرو بن مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّد الصَّمَدِ

والعرب تسمي أشرافها بالصَّمَد لاجتماع قصد القاصدين إليه ، واجتماع صفات السِّيادة فيه .

---

(١) راجع : « تفسير أسماء الله الحسنى » للزجاج ص (٥٨) ، و « الزاهر » لابن الأنباري (١ / ١٧٩) ، و « تفسير سورة الإخلاص » لابن تيمية ص (٦) .

(٢) قال أبو سليمان الخطابي في « شأن الدعاء » ص (٨٥) : « وأصح الوجوه : ماشَهِدَ له معنى الاشتقاق » إهـ

(٣) البيت : لسبرة بن عمرو الأسدي ، وهو في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة (٢ / ٣١٦) و « سمط اللآلي » للبكري (٩٣٣) ، و « لسان العرب » مادة : صمد .
وراجع أيضًا : « تفسير ابن جرير » (٣٠ / ٣٤٧) ، و « زاد المسير » (٩ / ٢٦٨) و « تفسير الماوردي » (٦ / ٣٧١) ، و « تفسير القرطبي » (٢٠ / ٢٤٥) ، و « روح المعاني » (٣٠ / ٢٧٣) ، و « فتح القدير » (٥ / ٥١٦) .
□ تنبيه : وقع في المطبوعة « عمرو بن يربوع » وماأثبته هو الموافق للمصادر السابقة .
وكذا جاء في معظم المصادر « بِخَيْرَي » بدل « بخَير » ، قال في « لسان العرب » بعد أن أورده بلفظ « بِخَيْري » : « ويروى : بِخَيْر بني أَسَدِ » إهـ .

السادس : **صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر** : وذلك قدر زائد على مفرديهما .

نحو : « **الغني الحميد** » ، « **العفو القدير** » ، « **الحميد المجيد** » .

وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن .

* فإن « الغِنَىٰ » صفة كمال و « الحمد » كذلك .

واجتماع « الغِنَىٰ » مع « الحمد » كمال آخر .

فله ثناءٌ من غِنَاه ، وثناءٌ من حَمْدِه ، وثناءٌ من اجتماعهما .

* وكذلك : « العفو القدير » ، و « الحميد المجيد » ، و « العزيز الحكيم » فتأمله فإنه من أشرف المعارف .

○ **وأما صفات السلب المحض** : فلا تدخل في أوصافه تَعَالىٰ إلا أن تكون متضمنة لثبوت[1] .

ـ كـ : « الأحد » المُتَضَمِّن لانفراده بالربوبية والإلهية .

ـ و « السلام » المُتَضَمِّن : لبراءته من كل نقص يُضَاد كماله .

○ **وكذلك الإخبار عنه بالسلوب هو لتضمنها ثبوتًا** :

(١) وذلك لأن مانفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لِثُبوت كمال ضده ، لا لمجرد نفيه
ـ لأنَّ : النفي ليس بكمال إلا أن يتضمَّن مايدل على الكمال .
وذلك ؛ لأنَّ النفي عدم والعدم ليس بشيئ فضلًا عن أن يكون كمالًا .
ـ ولأنَّ : النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالًا :
كما لو قلت : « الجِدَارُ لا يَظْلِم » .
ـ وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصًا كما في قول الشاعر :
قُبَيِّلَةٌ لا يَغْــدرونَ بِذِمــــةٍ ولا يظلمونَ الناس حَبَّةَ خَرْدلِ

كقوله تَعَالىٰ : ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

فإنه مُتَضَمِّنٌ : لكمال حياته وقيوميته .

* وكذلك قوله ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] .

مُتَضَمِّنٌ : لكمال قدرته .

* وكذلك قوله ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ [يونس : ٦١] .

مُتَضَمِّنٌ : لكمال علمه .

* وكذلك قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص : ٣] .

مُتَضَمِّنٌ : لكمال صَمَدِيَّته وغِنَاه .

* وكذلك قوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] .

مُتَضَمِّنٌ : لِتَفَرُّدِهِ بكماله ، وأنه لا نظير له .

وكذلك قوله تَعَالىٰ ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

مُتَضَمِّنٌ : لعظمته وأنه جَلَّ عن أن يُدْرَك بحيث يُحَاط به .

وهذا مُطْرد في كل ماوصف به نفسه من السّلوب .

○ ○ ○ ○

عشرون قاعدة نفيسة في أسماء الله وصفاته

○ ويجب أن يعلم هنا أمور[1] :

أحدها : أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تَعَالىٰ أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته[2] .

كـ : « الشيء » ، « والموجود » ، و « القائم بنفسه » ، فإنه يخبر به عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحُسْنَىٰ وصفاته العليا .

★★★

---

(١) شرح وتفصيل معظم هذه القواعد في كتاب « القواعد المُثْلَىٰ » لابن عثيمين ، وقد طبع بتحقيقنا ، ومعظم ماأنقله من تعليقات على هذه القواعد فمنه وإن لم أنبه عليها .

(٢) وكذلك أيضًا : فإن « **باب الصِّفات أوسع من باب الأسماء** » ؛ وذلك لأن كل اسم مُتَضَمِّن لصفة ، ولأن من الصفات مايتعلق بأفعال الله تعالىٰ ، وأفعاله سبحانه لا مُنْتَهى لها كما أن أقواله لا منتهى لها .

ومن أمثلة ذلك : أن من صفات الله : « المجيء » و « الإتيان » و « الأخذ » و « الإمساك » و « البطش » إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحْصى ..

كما قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وقال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقال : ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِم ﴾ [آل عمران : ١١] وقال : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [الحج : ٦٥] ، وقال : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] .

فنَصِف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ، ولا نُسَمِّيه بها ، فلا نقول : إن من أسمائه : « الجَائي » و « الآتي » و « الآخِذ » و « المُمسك » و « الباطش » ونحو ذلك .. وإن كنا نُخْبِر بذلك عنه ونَصِفُه به .

الثاني : أن الصِّفة إذا كانت منقسمة إلى كَمَالٍ ونَقْصٍ لم تدخل بمطلقها في أسمائه ، بل يُطْلَق عليه منها كمالها .(١)

وهذا كـ : « المُرِيد » و « الفَاعِل » و « الصَّانع » فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه . ولهذا غلط من سماه بـ « الصَّانع » عند الإطلاق بل هو « الفَعَّال لما يُريد » ؛ فإن الإرادة والفعل والصُّنْع مُنْقَسِمَة ، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أَكْمَلُه فعلًا وخبرًا .

★ ★ ★

الثالث : أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مُقَيَّدًا أن يشتق له منه اسم مطلق .

كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحُسْنَىٰ : « المُضِل » « الفَاتن » « المَاكِر » تَعَالىٰ اللّه عن قوله .

(١) وكذلك : « **إذا كانت الصفة كمَالًا في حالٍ ، ونَقْصًا في حالٍ ، لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق** » فلا تثبت له إثباتًا مطلقًا ، ولا تُنفى عنه نفيًا مطلقًا ، بل لابد من التفصيل : فتجوز في الحال التي تكون كمالًا ، وتمتنع في الحال التي تكون نقصًا ، وذلك كـ : « المكر » و « الكَيد » و « الخداع » ونحوها ..

فهذه الصفات تكون كمالًا : إذا كانت في مُقَابلة من يعاملون الفاعل بمثلها ؛ لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مُقَابلة عدوه بِمِثل فعله أو أشد .

وتكون نقصًا في غير هذه الحال ، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق ، وإنما ذكرها في مقابلة من يُعَاملونه ورُسله بمثلها كقوله تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله والله خيرُ المَاكِرينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيدًا وَأَكِيدُ كَيدًا ﴾ [الطارق : ١٥ ، ١٦] ، وقوله : ﴿ إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] .

فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة مُعَيَّنة فلا يجوز أن يُسَمَّىٰ بأسمائها المطلقة والله أعلم .

★★★

الرابع : أن أسماءه الحُسنَىٰ هي أعلام وأوصاف ، والوصف بها لا ينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد ، فإنها تُنَافي علميتهم ؛ لأن أوصافهم مشتركة ، فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تَعَالىٰ .

★★★

الخامس : أن الاسم من أسمائه له دلالات :

- دِلَالَةٌ على الذات والصفة بالمُطَابَقَة .
- ودِلَالَةٌ على أحدهما بالتَّضَمُّن .
- ودِلَالَةٌ على الصفة الأُخرى باللّزوم(١) .

---

(١) **أما دلالة المطابقة** : فهي دلالة اللفظ على جميع مدلوله ، وعلى هذا : فكل اسم دال على المُسَمَّىٰ به ، وهو « الله » ، وعلى الصفة المشتق منها هذا الإسم .

وأما دلالة التضمن : فهي دلالة اللفظ على بعض مدلوله ، وعلى هذا : فدلالة الإسم على الذات وحدها ، أو على الصفة وحدها من دلالة التضمن .

وأما دلالة الالتزام : فدلالته على شيئ يفهم لامن لفظ الإسم ، لكن من لازمه ، فلهذا سُمِّي دلالة التزام . مثال ذلك : « الخالق » اسم يدل على ذات الله ، وعلى صفة الخَلْق .

- إذًا : فباعتبار دلالته على الأمرين يسمى « **دلالة مُطابقة** » ؛ لأن اللفظ دل علىجميع مدلوله ، ولا شك أننا إذا قلنا : « الخالق » فإننا نفهم خالقًا ، وخلقًا .
- وباعتبار دلالته على « الخالق » وحده ، أو على الخلق وحده يسمى « **دلالة تضمن** » ؛ لأنه دل على معناه .
- وباعتبار دلالته على « العلم » و « القدرة » يسمى « **دلالة التزام** » إذ لا يمكن خلق إلا بعلم =

السادس : أن أسماءه الحُسنَىٰ لها اعتباران :

١ـ اعتبار من حيث « الذات » .

٢ـ واعتبار من حيث « الصفات » .

فهي بالاعتبار الأول مُتَرَادفة ، وبالاعتبار الثاني مُتَبَاينة[١] .

★★★

السابع : أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، ومايطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيًا[٢] .

كـ « القديم » و « الشيء » و « الموجود » و « القائم بنفسه » .

* فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه : هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض مالم يرد به السمع ؟! .

★★★

= وقدرة ، ولهذا لما ذكر الله خَلق السماوات والأرض قال : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

راجع : « شرح العقيدة الواسطية » (١ / ٩١ بتحقيقنا) .

(١) فهي « أعلام » باعتبار دلالتها على الذات ، و « أوصاف » باعتبار مادلَّت عليه من المعاني .

وهي بالاعتبار الأول : مُترادفة ، لدلالتها على مُسَمًّى واحد وهو الله .

وبالاعتبار الثاني : مُتَباينة ، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص .

فـ « الحي » « العليم » « القدير » « السميع » « البصير » « الرحمن » « الرحيم » « العزيز » « الحكيم » كلها أسماء لُمسَمًّى واحد وهو الله سبحانه وتعالى لكن معنى « الحي » غير معنى « العليم » ، ومعنى « العليم » غير معنى « القدير » ، وهكذا ..

(٢) وهذا يُفَسِّر لنا استعمال كثير من أهل العلم ومنهم : شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لبعض هذه الأوصاف في بعض الأحيان ، بمعنى أنه يخبر عنه بها ومن ذلك لفظة =

الثامن : أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل ، فيخبر به عنه فعلا ومصدرًا .

نحو : « السَّميع » « البصير » « القدير » يطلق عليه منه : السمع ، والبصر ، والقدرة .

ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة : ١] .

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٢٣] .

هذا إن كان الفعل متعديًا فإن كان لازمًا لم يخبر عنه به نحو : « الحي » بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال : حيي .

★★★

التاسع : أن أفعال الرب تبارك وتَعَالىٰ صادرة عن أسمائه وصفاته ، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم .

فالرَّب تبارك وتَعَالىٰ فعاله عن كماله .

والمخلوق كماله عن فعاله ، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل .

فالرَّب لم يزل كاملًا فحصلت أفعاله عن كماله ؛ لأنه كامل بذاته وصفاته . فأفعاله صادرة عن كماله ، كَمُلَ فَفَعَل ، والمخلوق فَعَل فَكَمُل الكمال اللائق به .

★★★

= « القديم » كما قال ابن القيم في « النونية » (٢ / ٣٧) :

وهـو القديم فلم يزل بصـفاته سبحانه متوحدًا بل دائم الإحسان

والمعنى أنه لم يزل بصفاته كلها إلهًا واحدًا قديم الإحسان دائم الجود والامتنان إهـ . شرح هراس

العاشر : إحصاء الأسماء الحُسنَىٰ والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم .

* فإن المعلومات سواه :

ـ إما أن تكون خلقًا له تَعَالىٰ .

ـ أو أمرًا إما علم بما كونه أو علم بما شرعه .

ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحُسنَىٰ ، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه .

* **فالأمر كله** : مصدره عن أسمائه الحُسنَىٰ ، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد ، والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه .

فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة ولطف وإحسان ؛ إذ مصدره أسماؤه الحُسنَىٰ .

* **وفعله كله** : لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة ؛ إذ مصدره أسماؤه الحُسنَىٰ .

فلا تفاوت في خلقه ولا عبث ، ولم يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثًا .

وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده ، فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه ، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ماسواه .

فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم ، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم ، إذا إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم ؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها .

وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تَعَالىٰ ، ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتًا ؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته .

وأما الرَّب تَعَالىٰ فهو « العليم الحكيم » فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض .

★ ★ ★

الحادي عشر : أن أسماءه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلا

وقد تقدَّم : أن من أسمائه مايطلق عليه باعتبار الفعل نحو : « الخالق » و « الرازق » و « المُحْيي » و « المُمِيت » .

وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها ؛ لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حُسْنَىٰ . وهذا باطل .

فـ « الشَّر ليس إِلَيْه »[1] ، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته لا يدخل في أفعاله .

فـ « الشر ليس إليه » لا يضاف إليه فعلا ولا وصفًا ، وإنما يدخل في مفعولاته[2] .

---

(١) ورد ذلك من قوله ﷺ ضمن حديث في دعاء استفتاح الصلاة ؛ رواه مسلم (٧٧٠) (٢٠١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) وينبغي أن يُعْلم : أن الشَّر الذي في المقدور ليس شرًّا محضًا بل هذا الشر قد ينتج عليه أمور هي خير ، فتكون الشرية بالنسبة إليه أمرًا إضافيًا . فهذا المفعول الذي هو شَرٌّ قد يكون شرًّا في نفسه لكنه خير من جهة أُخرى ، كما قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَت أَيْدِي النَّاس لِيُذِيقَهم بَعضَ الَّذِي عَمِلوا لَعَلَّهُم يَرْجِعُون ﴾ [الروم : ٤١] .

وفَرْقٌ بين الفعل والمفعول : فالشر قائم بمفعوله المباين له ، لا بفعله الذي هو فعله .

فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين ، وَزَلَّت فيه أقدام وضَلَّت فيه أَفْهَام ، وهدى اللّه أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه ، واللّه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

★★★

الثاني عشر : في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة ، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح .

المرتبة الأولى : إِحْصَاءُ أَلفَاظِهَا وعددها .

المرتبة الثانية : فَهْمُ مَعَانيها ومدلوها .

المرتبة الثالثة : دُعَاؤُه بها .

كما قال تَعَالىٰ ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨] .

وهو مرتبتان :

إحداهما : دُعَاءُ ثناء وعبادة .

والثاني : دُعَاءُ طلب ومسألة .

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحُسْنَىٰ وصفاته العلىٰ ، وكذلك لا يسأل إلا بها ، فلا يقال : يا موجود ، أو يا شيءُ ، أو يا ذات اغفر لي وارحمني ، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مُقْتضيًا لذلك المطلوب ، فيكون السائل مُتَوَسِّلًا إليه بذلك الاسم .

ومن تأمل أدعية الرُّسل ولاسيما خاتمهم وإمامهم وجدها مُطَابقة لهذا .

وهذه العبارة أولى من عبارة من قال : « **يتخلق بأسماء الله** » ؛ **فإنها** ليست بعبارة سديدة ، وهي منتزعة من قول « الفلاسفة » : بالتشبه بالإله على قدر الطاقة .

وأحسن منها : عبارة أبي الحكم بن برهان وهي : « التعبد » .

وَأَحْسَن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي : « الدعاء » المتضمِّن للتعبد والسؤال .

○ **فمراتبها أربعة :**

١ـ أشدها إنكارًا عبارة الفلاسفة ، وهي : « التَّشَبُّهُ » .

٢ـ وَأَحْسَن منها عبارة من قال : « التَّخَلُّقُ » .

٣ـ وَأَحْسَن منها عبارة من قال : « التَّعَبد » .

٤ـ وَأَحْسَن من الجميع : « الدُّعاء » ، وهي لفظ القرآن .

★ ★ ★

الثالث عشر : اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد كـ : « الحي » و « السميع » و « البصير » و « العليم » و « القدير » و « الملك » ونحوها .

* **فقالت طائفة** من « المتكلمين » : هي حقيقة في العبد مجاز في الرَّب .

وهذا قول « غلاة الجهمية » وهو أخبث الأقوال وأشدها فسادًا .

الثاني : مُقَابِلُه ، وهو : أنها حقيقة في الرَّب مجاز في العبد .

وهذا قول « أبي العباس الناشي » .

الثالث : أنها حقيقة فيهما .

وهذا قول أهل السنة وهو الصواب .

واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما .

وللرب تَعَالىٰ منها مايليق بجلاله ، وللعبد منها مايليق به[1] .

وليس هذا موضع التعرض لمأخذ هذه الأقوال وإبطال باطلها وتصحيح صحيحها ، فإن الغرض الإشارة إلى أمور ينبغي معرفتها في هذا الباب ، ولو كان المقصود بسطها لاستدعت سفرين أو أكثر .

★★★

الرابع عشر : أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات :

* **اعتبار** من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرَّب تبارك وتَعَالىٰ أو العبد .

الاعتبار الثاني : اعتباره مضافًا إلى الرَّب مختصًا به .

الثالث : اعتباره مضافًا إلى العبد مُقَيَّدًا به .

فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتًا للرب والعبد ، وللرب منه مايليق بكماله ، وللعبد منه مايليق به .

وهذا كاسم « السَّميع » الذي يلزمه إدراك المسموعات .

و « البصير » الذي يلزمه رُؤْية المبصرات .

و «العليم » و « القدير » وسائر الأسماء ، فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها .

---

(١) يأتي الكلام على هذا المعنى في الرسالة الثانية « منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات » للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله .

○ فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تَعَالىٰ لا محذور فيه بوجه ، بل ثبتت له على وجه لا يماثله فيه خلقه ولا يشابههم .

ـ فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه وجحد صفات كماله .

ـ ومن أثبته له على وجه يُماثِل فيه خلقه فقد شبهه بخلقه ومن شبه اللّٰه بخلقه فقد كفر .

ـ ومن أثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد برئ من فرث التشبيه ودم التعطيل ، وهذا طريق « أهل السنة » .

* ومالزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن اللّٰه ، كما يلزم حياة العبد من النوم والسِّنَة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك .

* وكذلك مايلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ماينتفع به ودفع مايتضرر به .

* وكذلك مايلزم علوه من احتياجه إلى ماهو عال عليه وكونه محمولا به مفتقرًا إليه محاطًا به .

كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتَعَالىٰ .

* ومالزم صفة من جهة اختصاصه تَعَالىٰ بها ؛ فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه كعلمه الذي يلزمه القدم ، والوجوب والإحاطه بكل معلوم ، وقدرته وإرادته وسائر صفاته ، فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق .

● **فإذا أَحَطت بهذه القاعدة خبرًا ، وعقلتها كما ينبغي ، خَلصت من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين : آفة التَّعطيل وآفة التَّشبيه .**

فإنك إذا وفيت هذا المقام حقه من التصور : أَثْبَتَّ لله الأسماء الحُسْنَىٰ والصفات العلىٰ حقيقة ، فخلصت من التعطيل ، ونفيت عنها خصائص المخلوقين ومشابهتهم فخلصت من التشبيه .

فتدبَّر هذا الموضع واجعله جنتك التي ترجع إليها في هذا الباب .

والله الموفق للصواب .

★★★

الخامس عشر : أن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة :

أمران لفظيان وأمران معنويان .

○ فاللفظيان : ثُبوتي وسلبي .

فالثبوتي : أن يشتق للموصوف منها اسم .

والسلبي : أن يمتنع الاشتقاق لغيره .

○ والمعنويان : ثُبوتي وسلبي .

فالثبوتي : أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه .

والسلبى : أن لا يعود حكمها إلى غيره ولا يكون خبرًا عنه .

وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات .

فلنذكر من ذلك مثالا واحدًا وهو : « **صفة الكلام** » فإنه إذا قامت بمحل كانت هو التكلم دون من لم تقم به وأخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره ، فيقال : قال ، وأمر ، ونهي ، ونادى ، وناجى ، وأخبر ، وخاطب ، وتكلم ، وكلم ، ونحو ذلك .

وامتنعت هذه الأحكام لغيره ، فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام

الصفة به ، وسلبها عن غيره على عدم قيامها به .

وهذا هو أصل السنة الذي ردوا به على « المعتزلة » و « الجهمية » وهو من أَصَحِّ الأُصُول طردًا وعكسًا .

★ ★ ★

السادس عشر : أن الأسماء الحُسْنَىٰ لا تدخل تحت حصر ، ولا تُحَدُّ بعدد .

فإن للّه تَعَالىٰ أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مُقَرّب ولا نَبِيٌّ مُرْسَل كما في الحديث الصحيح : « أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيت بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ »[1] .

○ **فجعل أسماءه ثلاثة أقسام :**

١ـ قسم سَمَّىٰ به نفسه ، فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه .

٢ـ وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده .

٣ـ وقسم استأثر به في علم غيبه ، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه .

* ولهذا قال « **استأثرت به** » أي انفردت بعلمه ، وليس المراد : انفراده

(١) **حديث صحيح** : وهو جزء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه أحمد (١ / ٣٩٤ ، ٤٥٢) وصححه ابن حبان (٢٣٧٢ ـ موارد) والحاكم (١ / ٥١٩) ، وابن القيم أيضًا في « شفاء العليل » ص (٢٧٤) واستفاض في شرحه والكلام على فوائده في كتاب « الفوائد » ص (٢٤ : ٢٩) ، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٧١٢) والألباني في الصحيحة (١٩٩) .

بالتَّسَمِّي به ؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه .

ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة : « فَيَفْتَحُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ بِمَا لَا أُحْسِنُه الآن »[1] .

وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته . ومنه قوله ﷺ : « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ »[2] .

* وأما قوله ﷺ « إِنَّ لِلّه تِسْعَةً وَتِسْعِين اسمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ »[3] فالكلام جملة واحدة .

* وقوله « مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّة » صفة لا خبر مستقبل .

والمعنى : له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة .

وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها ، وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد ، فلا ينفي أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد ، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه .

★★★

السابع عشر : أن أسماءه تَعَالىٰ :

● منها مايطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره وهو غالب الأسماء :

فـ « القدير » و « السميع » و « البصير » و « العزيز » و « الحكيم »

---

(١) جزء من حديث : أخرجه البخاري (٧٤٤٠) ومسلم (١٩٣) (٣٢٢) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (٤٨٦) (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) (٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا يسوغ أن يدعى به مفردًا ومقترنًا بغيره ، فنقول : « يا عزيز » « يا حليم » « يا غفور » « يا رحيم » ، وأن يفرد كل اسم .

* وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع .

● **ومنها مالا يطلق عليه بمفرده بل مقرونًا بمقابله :**

كـ « المانع » و « الضار » و « المنتقم » فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله ، فإنه مقرون بـ « المعطي » و « النافع » و « العفو » .

فهو « المعطي المانع » « الضار النافع » « المنتقم العفو » « المعز المذل » لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يُقَابله ؛ لأنه يراد به : أنه المنفرد بالرُّبوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعًا ، ونفعًا وضرًّا ، وعفوًا وانتقامًا ، وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار : فلا يسوغ .

* فهذه الأسماء المزدوجة تجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض ، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ، ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه .

فلو قلت : يا مُذِلّ يا ضار يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنيًا عليه ولا حامدًا له حتى تذكر مقابلها .

★★★

الثامن عشر : أن الصفات ثلاثة أنواع :

١ـ صفات كمال .

٢ـ وصفات نقص .

٣ـ وصفات لا تقتضي كمالًا ولا نقصًا .

٤ ـ وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسمًا رابعًا وهو : مايكون كمالا ونقصًا باعتبارين .

والرَّب تَعَالىٰ مُنَزَّه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول .

وصفاته كلها صفات كمال مَحْض ، فهو موصوف من الصفات بأكملها ، وله من الكمال أكمله ، وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها ، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ، ولا يؤدي معناها ، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرًا بمرادف محض ، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم .

وإذا عرفت هذا فله من كل صفه كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنىً ، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص .

* فله من صفة الإدراكات : « العليم » « الخبير » دون العاقل الفقيه ، و « السميع » « البصير » دون السامع والباصر والناظر .

* ومن صفات الإحسان : « البر » « الرحيم » « الودود » دون « الرفيق » و « الشفوق » ونحوهما ، وكذلك « العلي » « العظيم » دون الرفيع الشريف ، وكذلك « الكريم » دون السخي ، و « الخالق » « البارئ » « المصور » دون الفاعل الصانع المشكل ، و « الغفور » « العفو » دون الصفوح الساتر ، وكذلك سائر أسمائه تَعَالىٰ يجري على نفسه منها أكملها وَأَحْسَنها وما لا يقوم غيره مقامه .

فتأمل ذلك فأسماؤه أحسن الأسماء ، كما أن صفاته أكمل الصفات فلا تعدل عما سمَّى به نفسه إلى غيره كما لا تتجاوز ماوصف به نفسه ووصفه

به رسوله إلى ماوصفه به المبطلون والمعطلون .

★ ★ ★

التاسع عشر : أن من أسمائه الحُسْنَىٰ مايكون دالا على عِدَّة صفات .
ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها كما تقدم بيانه ، كاسمه « العظيم » و « المجيد » و « الصمد » .

كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في « تفسيره » : « الصمد : السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده ، والشريف الذي قد كَمُلَ في شرفه ، والعظيم الذي قد كَمُلَ في عظمته ، والحليم الذي قد كَمُلَ في حلمه ، والعليم الذي قد كَمُلَ في علمه ، والحكيم الذي قد كَمُلَ في حكمته ، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواع شرفه وسؤدده وهو اللّٰه سبحانه . هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفوًا أحد ، وليس كمثله شيء ، سبحان اللّٰه الواحد القهار »(1) هذا لفظه .

وهذا مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحُسْنَىٰ ، ففسر الإسم بدون معناه ، ونقصه من حيث لا يعلم فمن لم يحط بهذا علمًا ، بَخَسَ الاسمَ الأعظم حقه ، وهَضَمَهُ معناه ، فتدبره .

★ ★ ★

(1) أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٣٠ / ٣٤٦) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٩٨) وأبو الشيخ في « العظمة » (١ / ٣٨٣ ، ٣٨٤) وفي إسناده ضعف ؛ ففيه عبد الله بن صالح المصري ، كاتب الليث : قال الحافظ في « التقريب » : صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة إهـ . وفيه علي بن طلحة : قال الحافظ أيضًا : صدوق قد يخطئ من رجال مسلم ، أرسل عن ابن عباس ولم يره إهـ .

العشرون : وهي الجامعة لما تقدم من الوجوه وهو : **معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيه** .

قال تَعَالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

والإلحاد في أسمائه : هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته (ل ح د) .

فمنه : اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط .

ومنه : الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل .

قال ابن السكيت : « الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ماليس منه » .

ومنه : الملتحد وهو مفتعل من ذلك ، وقوله تَعَالىٰ ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

أي : من تعدل إليه ، وتهرب إليه ، وتلتجئ إليه ، وتبتهل إليه ، فتميل إليه عن غيره .

تقول العرب : التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه .

○ إذا عرف هذا فالإلحاد في أسمائه تَعَالىٰ أنواع :

أحدها : أن يسمي الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم إلها .

وهذا إلحاد حقيقة ؛ فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتم الباطلة .

= وقال ابن طهمان عن ابن معين : « لم يسمع من ابن عباس شيئًا ، فروى مرسلًا » إهـ . (سؤالاته : ٢٦٠) . وتقدم الأثر ص (١٦) مختصرًا .

الثاني : تَسْمِيَتُه بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك .

وثالثها : وَصْفُهُ بما يتَعَالىٰ عنه ويتقدس من النقائص .

كقول أخبث اليهود : إنه فقير .

وقولهم : إنه استراح بعد أن خلق خلقه .

وقولهم : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته .

ورابعها : تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها .

كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني ، فيطلقون عليه اسم « السميع » و « البصير » و « الحي » و « الرحيم » و « المتكلم » و « المريد » .

ويقولون : لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به ، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعًا ولغة وفطرة وهو يقابل إلحاد المشركين ، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه .

ثم « الجهمية » وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد ، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب .

وكل من جحد شيئًا عما وصف اللّه به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر .

وخامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه ، تَعَالىٰ اللّه عما يقول المشبهون

علوًا كبيرًا .

فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد « المعطلة » فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه ، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه .

وبرأ اللّه أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله ، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنى ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات ، فكان إثباتهم بريًا من التشبيه ، وتنزيههم خليا من التعطيل ، لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما ، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدمًا .

و « أهل السنة » وسط في النحل ، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل .

توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي اللّه لنوره من يشاء .

فنسأل اللّه تَعَالىٰ أن يهدينا لنوره ، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب .

★ ★ ★

○ **فهذه عشرون فائدة** ، مضافة إلى القاعدة التي بدأنا بها في أقسام ما يوصف به الرَّب تبارك وتَعَالىٰ ، فعليك بمعرفتها ومراعاتها .

ثم اشرح الأسماء الحُسْنَىٰ إن وجدت قلبًا عاقلا ولسانًا قائلا ومحلا قابلا وإلا فالسكوت أولى بك ، فجناب الرّبوبية أجل وأعز مما يخطر بالبال أو يعبر

عنه المقال ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم ﴾ [يوسف : ٣٦] حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علما .

وعسى اللّه أن يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحُسْنَىٰ مراعيًا فيه أحكام هذه القواعد بريئًا من الإلحاد في أسمائه وتعطيل صفاتة ، فهو المان بفضله واللّه ذو الفضل العظيم .

○ ○ ○ ○

٢

مَنْهَج ودراسات لآيات الأسماء والصفات

للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي

اعتنى به

أبو محمد اشرف بن عبد المقصود

مكتبة أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمينَ والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومَن تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعدُ :

فإنا نريد أن نوضِّحَ لكُمْ مُعْتَقَد السّلَفِ والطريق الذي هو المنجي نحو آيات الصفات(*) :

أولًا : اعلموا أن كثرةَ الخوض والتعمق في البحثِ في آيات الصفاتِ وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف .

* اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسسٍ مَنْ جَاء بِها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ ، وأصحابه والسلف الصالح .

ومن أخل بواحدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل .

وكل هذه الأسس الثلاثة(1) يدل عليها قرآن عظيم .

○ أحد هذه الأُسسِ الثلاثة هو : **تنزيه الله جل وعلا عَنْ أن يُشْبه شيْءٌ مِنْ صفاته شيئًا من صفاتِ المخلوقينَ** : وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى :

- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

(*) هذه الرسالة نَصٌّ محاضرة ، ألقاها الشيخ الشنقيطي رحمه الله في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتاريخ ١٣ رمضان ١٣٨٢هـ .

(١) ذكر الشيخ رحمه الله هنا اثنين من هذه الأسس ، وأما الثالث وهو : « **قطع الطمع عن إدراك الكيفية** » فتكلم عليه في آخر المحاضرة .

ـ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ [الإخلاص : ٤] .

ـ ﴿ فَلَا تَضرِبوا لِلَّهِ الأَمثَالَ ﴾ [النحل : ٧٤] .

○ **الثاني من هذه الأُسس : هو الإيمانُ بما وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ** ؛ لأنَّه لَا يَصِفُ الله أعلمُ بالله مِن الله : ﴿ ءَأَنتُم أَعْلَمُ أَمِ الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

والإيمان بما وَصَفَهُ بِهِ رسولهُ ﷺ ؛ لأنَّه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسولِ الله ﷺ الذي قال في حقه : ﴿ وَمَا يَنطِق عَنِ الهَوَىٰ * إنْ هُوَ إلَّا وَحي يُوحَىٰ ﴾ [النجم ٣ ، ٤] .

فيلزم كل مكلف :

١ـ أن يؤمن بما وصفَ الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ .

٢ـ وينزه ربَّه جلَّ وعَلَا عَنْ أَنْ تُشبِهَ صِفَتُهُ صفة الخلق .

وحيث أخلَّ بأحد هذين الأصلين : وقع في هوة ضلال ؛ لأَنَّ من تنطع بين يدي رب السموات والأرض ، وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة ، ونفي عن ربه وصفًا أثبته لنفسه فهذا مجنون !!

فالله جل وعلا يثبت لنفسه صفات كمال وجلال ، فكيف يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السمواتِ والأرضِ ويقول : هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقصِ كذا وكذا ، فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاءِ نفسي من غير استناد لأي كتابٍ أو سنةٍ ، سبحانك هذا بهتان عظيم !!

* ومن ظنَّ أنَّ صفةَ خالق السمواتِ والأرضِ تُشبِه شَيئًا مِنْ صِفَاتِ الخلق فهذا مجنون جاهل ملحد ضال !!

* ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منزهًا ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل . وهذا التحقيق هو مضمون : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع ذلك ؛ لأَنَّ الله قال : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثله شيء .

فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت لا شك فيه ، إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين .

فمن نفي عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله سبحانك هذا بهتان عظيم !!

ومَنْ ظنَّ أنَ صفةَ رَبه تُشْبِه شيئًا مِنْ صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧ ، ٩٨] .

ومن يُسوي رب العالمين بغيره فهو مجنون !!

o o o o

تقسيم المتكلمين للصفات والرد عليهم

ثُمَّ اعلموا أنَّ المتكلمينَ الذين خاضوا في الكلام وجاءوا بأدلة يسمونها أدلة عقلية ركبوها في أقيسة مَنْطِقيَّة ، قسَّمُوا صفَات الله جل وَعلا إلى **ستة أقسام** :

* قالوا : هناك « **صفة نفسية** » و « **صفة معنى** » و « **صفة معنوية** » و « **صفة فعلية** » و « **صفة سلبية** » و « **صفة جامعة** » .

أما « **الصفات الإضافية** » : فقد جعلوها أمورًا اعتبارية لا وجود لها في الخارج وسببوا بذلك إشكالات عظيمة وضلالًا مبينًا .

○ ثُمَّ إنا نبين لكم على تقسيم المتكلمين :

ـ ما جاء في القرآن العظيم من وصف الخالق جل وعلا بتلك الصفات ، ووصف المخلوقين بتلك الصفات .

ـ وبيان القرآن العظيم بأَنَّ خالق السموات والأرضِ حق وأنَّ صفة المخلوقين حق .

ـ وأنَّه لا مناسبةَ بينَ صفةِ الخالق وبينَ صفة المخلوقِ ؛ فصفة الخالق لائقة بذاته ، وصفة المخلوق مناسبة لعجزه وافتقاره ، وبين الصفة والصفة من المخالفة كمثل ما بين الذَّات والذَّات .

* أما هذا الكلام الذي يُدَرَّس في أقطار الدنيا اليوم في المسلمين ، فإن أغلب الَّذِين يُدَرِّسُونَهُ إنما يثبتون من الصفات التي يسمونها « صفات المعاني » سبع صفات فقط ، وينكرون سواها من المعاني ويؤولونها .

وصفة المعنى عندهم في الاصطلاح ضابطها هي : أنها ما دل على معنى

وجودي قائم بالذات .

* والذي اعترفوا به منها سبع صفات هي : « **القدرة** » و « **الإرادة** » و « **العلم** » و « **الحياة** » و « **السمع** » و « **البصر** » و « **الكلام** » .

ونفوا غير هذه الصفات من « صفات المعاني » التي سنبينها ونبين أدلتها من كتاب الله .

* وأنكر هذه المعاني السبعة « المعتزلة » وأثبتوا أحكامها فقالوا : هو قادر بذاته ، سميع بذاته ، عليم بذاته ، حي بذاته .. ولم يثبتوا قدرةً ولا علمًا ولا حياةً ولا سمعًا ولا بصرًا فرارًا منهم من تعدد القديم .

وهو مذهب كل العقلاء يعرفون ضلاله وتناقضه ، وأنَّه إذا لم يَقم بالذات عِلم استحال أن تقولَ هي عالمة بلا علم ، وهو تناقض واضح بأوائل العقول

o o o o

صفات المعاني عند المتكلمين

فإذا عرفتم هذا فسنتكلم على « **صفات المعاني** » التي أقروا بها فنقول :

١ـ وصفوا الله تعالى بـ « **القدرة** » وأثبتوا له « القدرة » والله جل وعلا يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

ونحن نقطع أنه تعالى مُتَّصِف بصفة « القدرة » على الوجه اللائق بكماله وجلاله .

* وكذلك وصف بعض المخلوقين بـ « **القدرة** » :

قال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِروا عَلَيهِمْ ﴾ [المائدة : ٣٤] .

فأسندَ القدرةَ لبعض الحوادث ونسبها إليهمْ ، وَنحنُ نَعلم أن كلَّ ما في القرآن حق وأن للمولى جلَّ وعَلَا قدرة حقيقية تليق بكمالِهِ وجلالِهِ ، كما أنَّ للمَخْلُوقينَ قُدْرَة حقيقية مناسِبة لحالِهم وعَجزِهم وَفَنائِهم وَافْتقارِهم .

* **وبينَ قدرة الخالق والمخلوقِ مِنْ المنافاةِ والمخالفة كمثلِ ما بينَ ذاتِ الخالق والمخلوقِ وَحَسْبُكَ بَونًا بذلك .**

★ ★ ★

٢ ، ٣ـ ووصف نَفْسَهُ بـ « **السَّمْعِ والبَصَرِ** » في غير ما آية من كتابه :

قال : ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٧٥] .

: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

* ووصف بعض الحوادث بـ « **السمع والبصر** » :

قال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نبتليه فجعلناه سَمِيعا

بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢] ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم : ٣٨] .

* ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق فلله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان لائقان بجلاله وكماله ، كما أن للمخلوق سمعًا وبصرًا حقيقيين مناسبين لحاله من فقره وفنائه وعجزه .

*** وبين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .**

★★★

٤ـ ووصف نفسه بـ « **الحياة** » :

قال تعالى : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٨٠] ، ﴿ هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية [غافر : ٦٥] .

* ووصف أيضًا بعض المخلوقين بـ « **الحياة** » :

قال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم ١٥] ﴿ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّت وَيُخْرِجُ المَيِّت مِنَ الحَيِّ ﴾ [الروم : ١٩] .

* ونحن نقطع بأن لله جل وعلا صفة حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله كما أن للمخلوقين حياة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم .

*** وبين صفة الخالق والمخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذاتِ الخالق والمخلوقِ . وذلك بون شاسع بين الخالق وخلقهِ .**

٥ ـ ووصف جل وعلا نفسه بـ « **الإرادة** » قال :

﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **الإرادة** » :

قال : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ [الأنفال : ٦٧] ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣] ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ ﴾ [الصف : ٨] .

* ولا شك أنَّ لله إرادة حقيقية لائقة بِكَمَالِهِ وَجَلالِهِ كما أنَّ للمخْلُوقِينَ إرادة مناسبة لحالهم وعجزِهم وفنائِهم وافتقارِهم .

* **وبين إرادة الخالق والمخلوق كمثلِ ما بين ذات الخالق والمخلوقِ .**

٦ـ وصف نفسه جل وعلا بـ « **العلم** » :

قال : ﴿ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ﴿ لكن اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **العلم** » :

قال : ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] .

: ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ [يوسف : ٦٨] .

* ولا شك أن للخالق جلَّ وعلا عِلمًا حقيقيًا لائقًا بكمَالِهِ وجلالِه محيطًا بكل شَيْءٍ ، كما أنَّ للمَخْلُوقِينَ عِلمًا مناسبًا لحالِهم وفنائِهم وعجزِهم وافتقارِهم .

* **وبين عِلم الخالق والمخلوقِ من المنافاة والمخالفة كمثلِ ما بينَ ذَات الخالقِ والمخلوقِ .**

٧ ـ ووصف نفسه جل وعلا بـ « **الكلام** » :

قال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **الكلام** » :

قال : ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤] .

: ﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ﴾ [يس : ٦٥] .

* ولا شَكَ أنَّ للخَالِق تعالى كلامًا حقيقيًا لائقًا بكمالِهِ وجلالِهِ ، كما أنّ لِلمخلوقينَ كلامًا مناسبًا لحالِهِم وفنائِهِم وعجزهم وافتقارِهِم .

* **وبينَ كلامِ الخالق والمخلوقِ مِنَ المنافاةِ والمخالفة كمثل ما بينَ ذاتِ الخالقِ والمخلوق .**

هذه « **صفات المعاني** » : سمعتم ما في القرآن من وصف الخالق بها ووصف المخلوق ، ولا يخفي على عاقل أن صفات الخالق حق ، وأن صفات الخالق لائقة بجلاله وكماله ، وصفات المخلوقين مناسبة لحالهم وبين الصفة والصفة كما بينَ الذاتِ والذاتِ .

○ ○ ○ ○

الصفات السلبية عند المتكلمين

وسنبين مِثْلَ ذَلكَ في الصفاتِ التي يُسَمُّونَها « سَلْبيَّة » .

* وضابط « **الصفة السلبية** » عند المتكلمين : هي الصفة التي دلت على عدم محض ، والمراد بها : أن تدل على سلب ما لا يليقُ بالله عَنِ الله مِنْ غير أن تدل على معنى وُجُودي قائم بالذات .

* والذِين قالوا هذا جعلوا « **الصفات السلبية** » خمسًا لا سادس لها .

وهي عندهم : « **القدم** » و « **البقاء** » و « **المخالفة للخلق** » و « **الوحدانية** » و « **الغنى المطلق** » الذي يسمونه : القيام بالنفس ، الذي يعنون به الاستغناء عن المخصص والمحل .

* فإذا عرفتم هذا فاعلموا : أن « **القدم** » و « **البقاء** » اللَّذين وصف المتكلمون بهما الله جل وعلا زاعمين أنَّهُ وصف بهما نفسه في قوله : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ [الحديد : ٣] قد وصف بهما المخلوق .

* والقدم في الاصطلاح عندهم : عبارة عن سلب العدم السابق إلا أنه عندهم أخص من الأزل ؛ لأَنَّ الأزل عبارة عما لا افتتاح له سواء كان وجوديًا كذات الله وصفاتِه أو عدميًا كإعدام ما سوى الله ؛ لأَنَّ العدم السابق على العالم قبل وجوده لا أول له فهو أزلي ولا يقال فيه قديم .

والقدم عندهم : عبارة عما لا أول له بشرط أن يكون وجوديًا كذات الله متصفة بصفات الكمال والجلال .

○ ونحن الآن نتكلم على ما وصفوا به الله جل وعلا من « القدم » و « البقاء » وإن كان بعض العلماء كره وصفه جل وعلا بالقدم كما يأتي .

○ فالله عز وجل وصف بعض المخلوقين بـ « **القِدَم** » **قال** :

﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩] .

﴿ إِنَّكَ لَفِي ضلالك الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف : ٩٥] .

﴿ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٦] .

* ووصف بعضهم بـ « **البقاء** » قال :

﴿ وجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] .

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] .

* ولا شك أن ما وصفوا به الله من هذه الصفات مخالف لما وصف به الخلق نحو ما تقدم ، أما الله عَزّ وَعَلَا فلم يَصِفْ في كتابِهِ نَفسه بالقدم .

وبعض السلف كره وصفه بالقدم ؛ لأَنَّه قد يطلق مع سبق العدم نحو :

﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩] .

﴿ إِنَّكَ لَفِي ضلالك الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف : ٩٥] .

﴿ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٦] .

وقد جاء فيه حديث ، قال فيه بعض العلماء : « هو يدل على وصفه بهذا » وبعضهم يقول : « لم يثبت » ، وقد ذكر الحاكم في « المستدرك » في بعض الروايات « القديم » في أسمائه تعالى[١] .

وفي حديث دخول المسجد : « أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه

---

(١) **حديث ضعيف جدًا** : رواه الحاكم (١ / ١٧) والبيهقي في « الاعتقاد » (١٩) وأبو نعيم فيه « جزء فيه طرق حديث : إن لله تسعة وتسعين اسمًا » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه سردٌ للأسماء الحسنىٰ ، وفيها اسم « القديم » وفي إسناده : **عبد العزيز بن الحصين بن =**

القديم من الشيطان الرجيم »[1] .

○ أما « **الأولية** » و « **الآخرية** » التي نص الله عليهما في قوله :

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ [الحديد : ٣] .

فقد وصف بعض المخلوقين أيضًا بـ « الأولية » و « الآخرية » قال :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴾ [المرسلات : ١٦ ، ١٧] .

* ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من ذلك لائق بجلاله وكماله ، كما أن للمخلوقين « أولية » و « آخرية » مناسبة لحالهم وفنائهم وعجزهم

= الترجمان ضَعَّفَهُ كثير من أهل العلم ، منهم : البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وابن المديني ، وابن معين ، وأبي حاتم ، وأبي زرعة الرازيين ، وابن حبان ، وغيرهم ..

ـ قال البخاري : « ليس بالقوي عندهم » الضعفاء الصغير (٢٢٥) .

ـ وقال مسلم : « ذاهب الحديث » الكنى والأسماء (١ / ٤٠٠) .

ـ وقال النسائي : « متروك الحديث » الضعفاء والمتروكين (٣٩١) .

ـ وذكر ابن الجوزي في « الضعفاء والمتروكين » (٢ / ١٠٩) وابن حجر في « اللسان » (٤ / ٢٩) : أن عليًا المديني ضعَّفَهُ ، وأن يحيى بن معين قال فيه « لا يساوي حديثه فلسًا » .

ـ وقال أبو زرعة الرازي : « لا يكتب حديثه » . وقال أبو حاتم الرازي : « ليس بقوي ، منكر الحديث ، وهو في الضعف مثل زيد بن أسلم » الجرح والتعديل (٢ / ٢ / ٣٨٠) .

ـ وقال ابن حبان : « يروي الموضوعات عن الثقات » المجروحين (٢ / ١٣٨) .

ولذا قال الحافظ في « تلخيص الحبير » (٤ / ١٧٢ ـ ١٧٣) : « متفق على ضعفه » إهـ . ومنه تعلم أن جزم الحاكم بأنه ثقة ـ بعد روايته لهذا الحديث ـ مخالف لأقوال الحفاظ المعتمدين ولذلك تعقبه الذهبي بقوله : « بل ضعفوه » ، وأورده أيضًا في الميزان (٢ / ٦٢٧) وعدَّ هذا الحديث من منكراته .

(١) **حَدِيثٌ حَسَنٌ** : رواه أبو داود (٤٦٦) ومن طريقه البيهقي في « الدعوات الكبير » (٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو ، وقال الإمام النووي في « الأذكار » (٦٩) : « حديث حسَنٌ رواه أبو داود بإسناد جيد » إهـ . وحسَّنه الحافظ في « نتائج الأفكار » (١ / ٢٨١) .

وافتقارهم .

○ ووصف نفسه بأنَّه « **واحد** » قال :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

* ووصف بعض المخلوقين بذلك قال :

﴿ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ [الرعد : ٤] .

○ ووصف نفسه بـ « **الغنى** » قال :

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤] .

﴿ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٨] .

﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن : ٦] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **الغنى** » قال :

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ [النساء : ٦] .

﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٢] .

فهذه **صفات السلب** : جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها .

ولا شك أن ما وصف به الخالق منها لائق بكماله وجلاله وما وصف به المخلوق مناسب لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره .

○ ○ ○ ○

عَدُّ الصفات السبع لا وجه له

ثُمَّ نذهب إلى الصفات السبع التي يسمونها « **المعنوية** » .

والتحقيق : إن عدَّ الصفات السبع المعنوية التي هي : كونُهُ تعالى « قادرًا » و « مريدًا » و « عالمًا » و « حيًا » و « سميعًا » و « بصيرًا » و « متكلمًا » لا وجه له ؛ لأَنَّها في الحقيقةِ إنما هي كيفية الاتصاف بالمعاني السبع التي ذكرنا . ومن عدّها من المتكلمين ، عدُّوها بناء على ثبوتِ ما يُسَمُّونَهُ الحال المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة .

والتحقيق : أن هذه خرافة وخيال ، وإن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيءِ ونقيضة واسطة البتة ، فكل ما ليسَ بموجودٍ فهو معدوم قطعًا ، وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعًا ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقلاءِ .

فإذا كنَّا قد مثلنا لكونه « قادرًا » و « حيًا » و « مريدًا » و « سميعًا » و « بصيرًا » و « متكلمًا » لما جاء في القرآنِ من وصف الخالق بِذلكَ وما جاء في القرآنِ من وصفِ المخلوقِ بذلك ، وبينا أَنَّ صفةَ الخالق لائقة بكمالهِ وجلالهِ وأنَّ صفة المخلوقِ مناسبة لحالهِ وفنائِه وعجزهِ وافتقارهِ فلا داعي لأَنَّ ننفي وصف رب السمواتِ والأرضِ لئلا نُشْبِهَهَا بِصفاتِ المخلوقينَ ، بل يلزم أنْ نُقِرَّ بوصفِ الله ونؤمنُ بهِ في حالِ كوننا منزهين له عن مشابهة صفة المخلوقِ .

○ ○ ○ ○

الكلام على صفات الأفعال

وهذه صفات الأفعال : جاءَ في القرآنِ بِكَثْرَةٍ وَصْفُ الخالق بها ووصف المخلوق ، ولا شك أن ما وصِفَ به الخالق منها مخالف لِمَا وُصِفَ به المخلوق كالمخالفة التي بين ذات الخالق وذات المخلوق ، ومن ذلك :

○ أنه وصف نفسه جل وعلا بصفة « **الفعل** » التي هي أنه يرزق خلقه :

قال جل وعلا : ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٧ ، ٥٨] .

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهوَ خَيْرُ الرَّازقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

○ ووصف بعض المخلوقين بصفة « **الرزق** » :

قال : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ واليتامىٰ والمساكينُ فارْزُقُوهُم مِّنهُ ﴾ [النساء : ٨] ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قيامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ [النساء : ٥] ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ رِزْقُهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق كمخالفة ذات الله لذات المخلوق .

○ ووصف نفسه جل وعلا بصفة « **الفعل** » الذي هو « **العمل** » :

قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاما فَهُمْ لَهَا مالِكُون ﴾ [يس : ٧١] .

* ووصف المخلوقين بصفة « **الفعل** » التي هي « **العمل** » قال : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور : ١٦] .

ولا شك أنَّ مَا وُصِفَ الله به من هذا الفعلِ منافٍ لِمَا وُصفَ بِهِ المخلوق

مخالف له كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوقِ .

○ وَوَصَفَ نَفسه بِأَنَّهُ « **يُعَلِّمُ خَلقَهُ** » :

﴿ الرَّحْمنُ * عَلَّمَ القُرْءَانَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ [الرحمن : ١ : ٤] .

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ﴾ [العلق : ٣ ـ ٥] ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] .

* ووصف بعض خلقه بصفة « **الفعل** » التي هي « **التعليم** » أيضًا قال :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنهُمْ يَتْلوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ ﴾ [الجمعة : ٢] .

○ وجمع المثالين في قوله :

﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ الله ﴾ [المائدة : ٤] .

○ ووصف نفسه جل وعلا بأَنَّهُ « **يُنبئ** » وَوَصَفَ المخلوقَ بأَنَّهُ « **يُنبئ** » وجَمَعَ بينَ الفعلِ في الأمْرينِ في قولِهِ جلَّ وعلا : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعرضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبأَكَ هذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ ﴾ [التحريم : ٣] .

ولا شك أنَّ مَا وُصِفَ الله بِهِ مِنْ هذا الفِعْلِ مُخَالِف لِمَا وُصِفَ بِهِ مِنْهُ العَبْد كمخالفة ذاتِ الخالق لذاتِ المخلوقِ .

○ وَوَصَفَ نَفسَهُ بصفة « **الفِعل** » الَّذِي هو « **الإِيتاء** » :

قال جل وعلا : ﴿ يُؤتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود : ٣] .

* ووصف المخلوقين بـ « **الفعل** » الذي هو « **الإيتاء** » :

قال : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [النساء : ٢٠] .

﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء : ٤] .

ولا شك أنَّ مَا وُصِفَ الله بِهِ مِنْ هَذا الفِعْلِ مُخَالِف لِمَا وُصِفَ بِهِ العَبْدُ مِنْ هَذا الفِعْلِ كمخالفةِ ذاتِه لذاتِه .

○ ○ ○ ○

الكلام على الصفات الجامعة

ثُمَّ نَتَكلم علَى « **الصفاتِ الجامعةِ** » كـ : « **العلو** » و « **العِظَم** » و « **الكِبْرِ** » و « **المُلْكِ** » وَ « **التَّكَبُّر** » وَ « **الجَبَرُوتِ** » و « **العزةِ** » و « **القوة** » **وما جرى مجرى ذلك من الصفات الجامعة** .

○ فنجدُ الله وَصَف نفسَهُ بـ « **العلو والكبرِ والعِظَم** » :

قال في وَصْفِ نَفْسِه بـ « **العلو والعظمِ** » : ﴿ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقال في وَصف نفسه بـ « العلو والكبر » :

﴿ إنَّ الله كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٤] .

﴿ عَالِمُ الغَيْبِ والشهادة الكَبِيرُ المُتَعَالِ ﴾ [الرعد : ٩] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **العظم** » قال :

﴿ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

﴿ إنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء : ٤٠] .

﴿ وَلَهَا عَرْش عَظِيمٌ ﴾ [النمل : ٢٣] .

* ووَصفَ بعضَ المخلوقين بـ « **العلو** » قال :

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] .

﴿ وَجَعَلنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٠] .

ولا شك أنَّ ما وُصِفَ الله به من هذه الصفات الجامعةِ كـ « العلو والكبرِ والعِظَم » منافٍ لما وُصِفَ بِهِ المخلوق مِنْها كمخالفة ذاتِ الخالق لذاتِ المخلوقِ

فلا مناسبة بين ذاتِ الخالق والمخلوقِ كما لا مناسبةَ بينَ صفةِ الخَالق وصفة

المخلوق .

○ وَوصف نفسه بـ « **الملك** » قال :

﴿ يُسَبِّح لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرض المَلِكِ القُدّوسِ ﴾ [الجمعة : ١] ﴿ هُوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٥] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **الملك** » قال :

﴿ وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ [يوسف : ٤٣] .

﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائتُونِي بِهِ ﴾ [يوسف : ٥٤] .

﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف : ٧٩] .

﴿ تُؤتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

ولا شك أنَّ لله جلَّ وعلا مُلكًا حقيقيًا لائقًا بكمالِه وجلالِهِ ، كما أن للمخلوقين ملكًا مناسبًا لحالِهم وفنائِهم وعجزِهم وافتقارهم .

○ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنه « **جَبَّار مُتَكبر** » قال :

﴿ هُوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ ﴾ إلى قوله : ﴿ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٢ ، ٢٣] .

* ووصف بعض المخلوقين بأنه « **جبار متكبر** » قال :

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٣٥] .

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٠] .

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١٥] .

ولا شك أنَّ ما وُصِفَ به الخالق من هذه الصفات مناف لما وُصف به المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوقِ .

○ وَوَصَفَ نَفَسهُ جلَّ وعَلَا بـ « **العزة** » قال :

﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ [ص : ٩] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **العزة** » قال :

﴿ قالت امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ [يوسف : ٥١] .

﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٣] .

* وجمع المثالين في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

ولا شك أنَّ ما وُصِفَ بِهِ الخَالِق مِنْ هَذَا الوَصْفِ مُنَافٍ لِمَا وُصِفَ بِهِ المَخلوق كمخالفةِ ذاتِ الخالق لذاتِ المخلوقِ .

○ وَوَصَفَ نَفْسَهُ جَلَّ وَعَلا بـ « **القُوَّةِ** » قال :

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٧ ، ٥٨] .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

* وَوَصَفَ بعض المخلوقين بـ « **القوة** » قال :

﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود : ٥٢] .

وقال جل وعلا : ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ [الروم : ٥٤] .

* وجمع بين المثالين في قوله : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ١٥] .

○ ○ ○ ○

الصفات التي اختلف فيها المتكلمون

ثُمَّ إنَّنَا نَتكلمُ عَلَى الصفَاتِ التي اخْتَلَفَ فيها المُتَكَلمُونَ :

هل هي صِفاتُ فِعل أو صفات معنى ؟

والتحقيق : أنَّها صفاتُ معانٍ قائمة بذاتِ الله جَلَّ وَعَلا ، كـ « **الرأفةِ** » و « **الرحمةِ** » و « **الحِلْمِ** » .

○ فنجده جل وعلا وَصَفَ نَفْسَهُ بأنَّهُ « **رؤوف رحيم** » قال :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ٧] .

* ووصف بعض المخلوقين بذلك قال في وصف نبينا صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

○ وَوَصَفَ نفسه بـ « **الحِلْمِ** » قال : ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٩]

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

* ووصف بعض المخلوقين بـــ « **الحلم** » قال :

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١]

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

○ ووصف نفسه بـ « **المغفرة** » قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

* ووصف بعض المخلوقين بـ « **المغفرة** » قال :

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤١] .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [الجاثية : ١٤] .

ولا شك أنَّ مَا وُصِفَ بِهِ خالق السمواتِ والأرض من هذه الصفاتِ أنَّه حق لائق بكمالِه وجلالِه لا يجوزُ أنْ يُنْفى خَوْفًا مِن التشبيهِ بالخلق .

وأنَّ ما وُصِفَ بِهِ الخَلْقُ مِنْ هذه الصفاتِ حق مناسبٌ لحالِهِم وفنائِهِم وعجزِهم وافتقارِهِم .

○ **وعلى كل حال** : فلا يجوز للإنسان أن يأتي إلى وصفٍ أثبته الله جل وعلا لنفسه فينفي هذا الوصف عن الله متهجمًا على رب السمواتِ والأرضِ مُدَّعِيًا عَلَيْهِ أنَّ هذا الوصف الذي تَمَدَّح به أنَّه لا يليقُ به ، وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص فهذا جنون وهوس ولا يذهب إليه إلا من طمس الله بصائرهم .

○ ○ ○ ○

إثبات صفة الاستواء

وسنضرب لكم لهذا مثلًا يتبين به الكل ؛ لأَنَّ مثلًا واحدًا من آيات الصفات ينسحب على الجميع إذ لا فرق بين الصفات ؛ لأَنَّ الموصوف بها واحد . وهو جل وعلا لا يشبهه شيءٌ من خلقه في شيءٍ من صفاته البتة .

○ فهذه « **صفة الاستواء** » التي كثر فيها الخوض ونفاها كثير من الناس بفلسفة منطقية وأدلة جدلية سنتكلم في آخر البحث على وجوه إبطالها كلامًا يَخُصُّ الَّذِين دَرَسُوا المنطقَ والجدل ليتبين كيف استدل أُولَئِكَ بالباطل وأبْطَلُوا بِهِ الحقَّ وأحقوا به الباطلَ .

* فهذه « **صفةُ الاستواء** » تجرأ الآلافُ ممن يَدَّعُونَ الإسلامَ وَنَفوها عَن ربّ السمواتِ والأرضِ بأدلةٍ منطقية يركبون فِيهَا قياسًا استثنائيًا مُركبًا من شرطيةٍ متصلةٍ لزوميةٍ واستثنائيةٍ يستثنون فيه نقيض التالي ينتجون في زعمهم الباطل نقيض المقدم بناء على أن نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم .

فيقولون مثلًا : لو كان مستويًا على عرشه لكان مشابهًا للخلق لكنه لم يكن مشابهًا للخلق فينتجون ، ليس مستويًا على العرش ، وعظم هذا الافتراء كما ترىٰ .

○ اعلموا أنَّ هذه الصفةِ التي هي « **صفةُ الاستواءِ** » صفةُ كمالٍ وجلالٍ تمدحَ بها ربُّ السمواتِ والأرضِ والقرينة على أنها صفةُ كمالٍ وجلالٍ أنَّ الله ما ذكرها في موضعٍ من كتابه إلا مصحوبة بما يُبْهِر العقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها وسنضرب مثلًا لذلك بذكر الآيات :

١ـ فأول سورة ذكر الله فيها « **صفة الاستواء** » حسب ترتيب المصحف : « سورة الأعراف » قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَات بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ ربُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلالِ والكمالِ ؟

٢ ـ **الموضع الثاني في** « سورة يُونُس » قال :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَروا لَهُمْ شَرَابٌ مِّن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِك إِلَّا بالحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣ ـ ٦] .

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفاتِ الدالةِ على هذا من الكمالِ والجلالِ ؟

٣ ـ **الموضع الثالث** في « سورة الرعد » في قوله جل وعلا :

﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُل يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَات

لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٢ : ٤] .

وفي القراءة الأخرى(١) : ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَات لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤] .

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفاتِ الدالةِ على الجلالِ والكمالِ ؟

٤ ـ **الموضع الرابع في** « سورة طه » :

﴿ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه : ١ ـ ٨] .

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلالِ والكمال ؟

---

(١) قال ابن مجاهد في « كتاب السبعة في القراءات » (٣٥٦ ، ٣٥٧) : « واختلفوا في : الياء والتاء من قوله : ﴿ يُسْقَىٰ ﴾ ، وفي : النون والياء من قوله : ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ .

ـ فقرأ « ابن كثير » و « نافع » و « أبو عمرو » : ﴿ تُسقىٰ ﴾ بالتاء ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ بالنون .

ـ وقرأ « حمزة » و « الكسائي » : ﴿ تُسْـقَـىٰ ﴾ ممالة القاف ، وقرآ : ﴿ وَيُفَضِّلُ ﴾ بالياء مكســورة الضاد .

ـ وقرأ « عاصم » و « ابن عامر » : ﴿ يُسْقَىٰ ﴾ بالياء ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ بالنون .

٥ ـ **الموضع الخامس** في « سورة الفرقان » في قوله :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٨ ـ ٥٩] .

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على هذا من الكمال والجلال ؟

٦ ـ **الموضع السادس** في « سورة السجدة » في قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٢ : ٩] .

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على هذا من الجلال والكمال ؟

٧ ـ **الموضع السابع** في « سورة الحديد » في قوله تعالى :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي

الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٣ ، ٤] .

○ **فالشاهدُ** : أنَّ هذه الصفة التي يظنُّ الجاهلونَ أنَّها صفةُ نقصٍ ويتهجمونَ على رب السمواتِ والأرض بأنَّه وَصَفَ نَفْسَهُ صفةَ نقصٍ ثُمَّ يُسَبِّبُونَ عن هذا أنْ يَنْفُوهَا وَيُؤَوِلُوهَا مَعَ أنَّ الله جلَّ وعلا تَمَدَّحَ بها وجعلها من صفاتِ الجلالِ والكمالِ مقرونة بِما يبْهرُ العقولَ من صفاتِ الجلالِ والكمالِ هذا يدلُ على جهلِ وَهَوَسِ مَنْ يَنفِي بعض صفاتِ الله جلَّ وعلا بالتأويلِ .

○ ○ ○ ○

الكلام على التأويل الذي فتن به الخلق

○ ثُمَّ اعلموا أن هذا الشيء الذي يقال له « **التأويل** » الذي فُتِنَ به الخلق وضل به الآلافُ من هذه الأمةِ .

اعلموا أن التاويلَ يُطلقُ مشتركًا بين ثلاثة معان :

١ـ يطلق على : « **من تؤول إليه حقيقةُ الأمرِ في ثاني حال** » وهذا هو معناه في القرآن نحو :

﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾ [يونس : ٣٩] .

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الأعراف : ٥٣] .

ومعنى « التأويل » في الآيات المذكورة : ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال .

٢ ـ ويطلق التأويل بمعنى « **التفسير** » وهذا قول معروف كقول ابن جرير : القول في تأويل قوله تعالى كذا أي : تفسيره .

٣ ـ أما في اصطلاح الأصوليين : فالتأويل هو : « **صرفُ اللَّفْظِ عن ظاهِرِهِ المتَبادر مِنْه إلى محتملٍ مرجوح لدليلٍ** » .

○ وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه له عند علماء الأصول ثلاث حالات :

(أ) إما أن يصرفَهُ عن ظاهِرِهِ المتبادر منه لدليل صحيح من كتابٍ أو سنةٍ وهذا النوع من التأويلِ : صحيح مقبول لا نزاع فيه .

ومثال هذا النوع : ما ثبت عن النبي ﷺ أنّه قال : « الجَارُ أَحَق بِسَقَبِهِ »[1] . فظاهر هذا الحديث : ثبوت الشفعة للجار .

وحُمِلَ هذا الحديث على : الشريك المقاسم حمل اللفظ على محتمل مرجوح غير ظاهر متبادر ، إلا أن حديث جابر الصحيح : « فَإِذَا وَقَعَتِ الحُدُود وصُرِفَتِ الطُّرُقُ فَلا شُفْعة »[2] دلَّ على أن المراد بالجار الذي هو أحق بسقبه : خصوص الشريك المقاسم .

فهذا النوع من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل واضح يجب الرجوع إليه من كتاب وسنة . وهذا التأويل يسمى : « تأويلًا صحيحًا » و « تأويلًا قريبًا » ولا مانع منه إذا دل عليه النص .

(ب) **الثاني هو** : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلًا وهو في نفس الأمر ليس بدليل :

فهذا يسمى « تأويلًا بعيدًا » ويقال له : « فاسد » .

ومَثَّلَ له بعض العلماء بتأويل الإمام أبي حنيفة رحمه الله لفظ : « امرأة » في قوله ﷺ : « أَيّمَا امرأَةٍ نُكِحَتْ بِغيْرِ إِذْنِ وَليهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِل بَاطِل »[3] .

---

(١) رواه البخاري (٢٢٥٨) من حديث أبي رافع رضي الله عنه . و « السقب » : بالسين المهملة وبالصاد ، ويجوز فتح القاف وإسكانها : القرب والملاصقة . فتح الباري (٤ / ٤٨٣) .

(٢) رواه البخاري (٢٢٥٧) .

(٣) **حديث صحيح** : رواه أبوداود (٢٠٨٣) والترمذي (١١٠٢) وابن ماجه (١٨٧٩) ، وصححه ابن حبان (١٢٤٨) والحاكم (٢ / ١٦٨) وقد بسط الكلام عليه البيهقي في السنن (٧ / ١٠٥) والحافظ في التلخيص (٢ / ١٥٦ ، ١٥٧) .

قالوا : حَمْلُ هذا على خصوص المكاتبة ، تأويل بعيد ؛ لأَنَّه صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه ؛ لأَنَّ « أيُّ » في قوله : « أيُّ امرأةٍ » صيغة عموم وأُكِّدَتْ صيغة العموم بـ « ما » المزيدة للتوكيد .

فَحَمْلُ هذا على صورة نادرة هي المكاتبة حمل اللفظ على غير ظاهره لغير دليل جازم يجب الرجوع إليه .

(ج) أما حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل ، فهذا لا يسمى تأويلًا في الاصطلاح بل يسمى : « **لعبًا** » ؛ لأَنَّه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

ومن هذا : تفسير « غلاة الروافض » قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة : ٦٧] . قالوا : عائشة !!

ومن هذا النوع : صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى مُحتملاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان كقولهم ﴿ اسْتَوَىٰ ﴾ بمعنى : استولى .

فهذا لا يدخل في اسم التأويلِ ؛ لأَنَّه لا دليلَ عليه البتة ، وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول « لعبًا » ؛ لأَنَّه تلاعب بكتاب الله جل وعلا من غير دليل ولا مستند .

فهذا النوع لا يجوز ؛ لأَنَّهُ تهجم على كلامِ ربِّ العالمين ، والقاعدةِ المعروفةِ عند علماءِ السلفِ : أَنَّه لا يجوز صرف شيءٍ من كتابِ الله ولا سنةَ رسولِهِ عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجبُ الرجوع إليه .

○ ○ ○ ○

اعتقاد التشبيه أولا هو سبب التعطيل

وكلّ هذا الشر ـ فاسمعوا أيها الإخوان نصيحة مُشْفِق ـ إنما جاء من مسألة وهي : نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه !!

فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفة من صفات الكمال أثنى الله بها على نفسه كـ « نزوله إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير » وكـ : « استوائه على عرشه » وكـ : « مجيئه يوم القيامة » وغير ذلك من صفات الجلال والكمال ..

أول ما يخطر في ذهن المسكين : أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق فيكون قلبه متنجسًا بأقذار التشبيه لا يُقَدِّر الله حقَّ قدره ولا يُعَظِّم الله حقَّ عظمته حيث يسبق إلى ذهنه : أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق فيكون فيها أولًا نجس القلب متقذره بأقذار التشبيه فيدعو شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء : أنها تشبه صفات المخلوق فيكون فيها أولًا مشبهًا وثانيًا معطلًا ضالًا ابتداءً وانتهاءً متهجمًا على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق .

○ واعلموا أن هنا قاعدة أصولية أطبق عليها من يعتد به من أهل العلم وهي : « أن النبيَّ ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة » ولا سيما في العقائد ، ولا سيما لو مشينا علي فرضهم الباطل : أن ظاهرَ آيات الصفاتِ الكُفْر !!

فالنبي ﷺ لم يؤول « الاستواء » بالاستيلاء ، ولم يؤول شيئًا من هذه

التأويلات ، ولو كان المراد بها هذه التأويلات لبادر النبي ﷺ إلى بيانها ؛ لأَنَّه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة .

فالحاصل : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه ويجيب عن جميع الأسئلة وهو :

أن الإنسان إذا سَمِعَ وصفًا وَصَفَ بِهِ خالقُ السمواتِ والأرض نَفْسَهُ أو وصفهُ بِهِ رسُوله ﷺ امتلأ صدره من التعظيم فيجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفاتِ المخلوقينَ فيكونَ القلب منزهًا معظمًا له جلَّ وعلا غير متنجس بأقذارِ التشبيه فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ على غرار : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

والشر كل الشر في عدم تعظيم الله وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة .

○ ○ ○ ○

نقطتين هامتين

ولابد في هذا المقام من نقط يتنبه إليها طالب العلم :

أولًا : أن يعلم طالبُ العلم أنَّ جميعَ الصفاتِ من بابٍ واحدٍ :

إذ لا فرقَ بينها البتة ؛ لأَنَّ الموصوف بها واحد وهو جَلَّ وعلا لا يشبه الخلق في شيءٍ من صفاتهم البتة .

فكما أنكم أثبتم له « سمعًا » و « بصرًا » لائقين بجلاله لا يشبهان شيئًا من أسماع الحوادث وأبصارهم فكذلك يلزم أن تُجروا هذا بعينه في صفةِ « الاستواء » و « النزول » و « المجيءِ » إلى غير ذلك من صفاتِ الجلالِ والكمالِ التي أثنى الله بها على نفسه .

* واعلموا أن رب السموات والأرض يستحيل عقلًا أن يصف نفسه بما يلزمه محذور أو يلزمه محال أو يؤدي إلى نقص ، كل ذلك مستحيل عقلًا فإن الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفاتِ المخلوقين على حَدّ قوله :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

الثاني : أن يعلموا أن الصفات والذات من باب واحد .

فكما أننا نثبت ذات الله جل وعلا إثبات وجود وإيمان لا إثبات كيفية مكيفة فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات وإيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد .

○ ○ ○ ○

هل آيات الصفات من المتشابه ؟

* واعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه ! وهذا من جهة غلط ومن جهةٍ قد يسوغ كما يُثْبتهُ الإمام مالك بنُ أنسٍ . أما المعاني فهي معروفة عند العرب .

كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله : « الاسْتواءُ غَيْر مَجْهول ، والكَّيْف غَيْر مَعْقُول ، والسُّؤال عنه بِدْعة »(١) .

كذلك يقال في النزول : « النزول غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة » ...

واطرده في جميع الصفات ؛ لأَنَّ هذه الصفات معروفة عند العرب ، إلا أن ما وصف به خالق السموات والأرض منها أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئًا من صفات المخلوقين كما أن ذات الخالق جل وعلا حق والمخلوقون لهم ذوات وذات الخالق جل وعلا أكمل وأنزه وأجل من أن تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين .

---

(١) **أثَرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه الذهبي في « العلو » ص (١٤١ ، ١٤٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦ / ٣٢٥ ، ٣٢٦) ، وعثمان بن سعيد الدارمي في « الرد على الجهمية » ص (٥٥) واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » (٦٦٤) ، وأبو عثمان الصابوني في « عقيدة السلف » (٢٤ ـ ٢٦) والبيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٤٠٨) من طرق يُقَوِّي بعضها بعضًا ، وصححه الذهبي في « العلو » وكذا قوَّاه الألباني في « مختصر العلو » .
وقال الحافظ في « الفتح » (١٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) : « وأخرج البيهقي بسندٍ جيد عن عبد الله ابن وهب .. » فذكره .

فعلى كل حال : الشَّر كل الشَّر في تشبيه الخالق بالمخلوق وتنجس القلب بقذر التشبيه ، فالإنسان المسلم إذا سمع صفةً وُصِفَ بها الله ، أول ما يجب عليه : أن يعتقد أن تلك الصفةِ بالغةٍ من الجلالِ والكمالِ ما يقطعُ أوهامِ علائق المشابهة بينها وبين صفات المخلوقينَ ، فيكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه على نحو : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

٥ ٥ ٥ ٥

سؤال مهم

وهنا سؤال لابد من تحقيقه لطالب العلم أولًا : اعلموا أن المقرر في الأصول أن الكلام إن دل على معنى لا يحتمل غيره فهو المُسَمَّىٰ نصًا كقوله مثلًا ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

* فإذا كان يحتمل معنيين أو أكثر فلا يخلو من حالتين :

ـ إما أن يكون أظهر في أحد الاحتمالين من الآخر .

ـ وإما أن يتساوى بينهما .

فإن كان الاحتمال يتساوى بينهما فهذا الذي يسمى في الاصطلاح : « المجمل » .

كما لو قلت : « عَدَا اللصوصُ البارحةَ على عين زيدٍ » فإنه يحتمل أن تكون عينه الباصرة عَوّرُوهَا ، أو عينه الجارية غوّرُوها ، أو عين ذهبه وفضته سرَقُوها فهذا مجمل .

وحكمُ المجمل : أنْ يتوقف عنه إلا بدليل على التفصيل .

* أما إذا كان نصًا صريحًا : فالنص يعمل به ولا يعدل عنه إلا بثبوت النسخ .

فإذا كان أظهر في أحد الاحتمالين فهو المسمى بـ « الظاهر » ومقابله يسمى : « محتملًا مرجوحًا » .

والظاهر يجب الحمل عليه إلا لدليلٍ صارف عنه كما لو قلت : « رأيتُ أسدًا » فهذا مثلًا : ظاهر في الحيوان المفترس ، محتمل في الرجل الشجاع .

○ وإذًا : فنقول : فالظاهرُ المتبادرُ من آيات الصفاتِ من نحو قوله :

﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] وما جرى مجرى ذلك ، هل نقول : **الظاهر المتبادر من هذه الصفة هو مشابهة الخلق حتى يجب علينا أن نقول ونصرف اللفظ عن ظاهره ، أو ظاهرها المتبادر منها تنزيه رب السموات والأرض حتى يجب علينا أن نقره على الظاهر من التنزيه ؟**

الجواب : أن كل وصف أسند إلى رب السموات والأرض فظاهره المتبادر منه عند كل مسلم : هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق .

فإقراره على ظاهره : هو الحق ، وهو تنزيه رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق في شيء من صفاته .

فهل ينكر عاقل : أن المتبادر للأذهان السليمة أن الخالق ينافي المخلوق في ذاته وسائر صفاته ؟!

لا والله !! لا يعارض في هذا إلا مُكَابر !!

○ ○ ○ ○

الرد على المتكلمين وإلزامهم بمقتضى قواعدهم

ثُمَّ بعد هذا البحث الذي ذكرنا : نحب أن نذكر كلمة قصيرة لجماعة قرءوا في « المنطق والكلام » وظنوا نفي بعض الصفات من أدلة كلامية .

كالذي يقول مثلًا : لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للحوادث لكنَّه غير مشابه للحوادث ينتج : فهو غيرُ مستو على العرش .

هذه النتيجة الباطلة : تضاد سبع آيات من المحكم المنزل .

ولكننا الآن نقول في مثل هذا على طريق المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين . نقول : هذا قياس استثني فيه نقيض التالى فأُنتج منه نقيض المقدم حسب ما يراه مقيم هذا الدليل .

ونحن نقول : إنه تقرر عند عامة النُّظَّار أن القياسَ الاستثنائي المركب من شرطية متصلة لزومية يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات :

١ـ يتوجه عليه من جهة استثنائيته .

٢ـ ويتوجه عليه من جهة شرطيته ـ إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح .

٣ـ ويتوجه عليه القدح من جهتهما معًا .

وهذه القضية كاذبة الشرطية فالربط بين مقدمها وتاليها كاذب كذبًا بحتًا ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لسبع آيات .

وإيضاحه أن نقول : قولُكم لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للحوادث هذا الربط بين « لو » و « اللام » كاذب كاذب كاذب ، بل هو مستو على عرشه كما قال من غير مشابهةٍ للحوادث ، كما أنَّ سائرَ صفاته

واقعة كما قال من غير مشابهة للخلق .

ولا يلزم من استوائه على عرشه كما قال أن يشبه شيئًا من المخلوقين في صفاتهم البتة بل استواؤه صفة من صفاته ، وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق كما أن ذاته منزهة عن مشابهة ذوات الخلق .

ويطرد هذا في مثل هذا .

وعلى كل حال : فالجواب عن شيئ واحد من هذا يطرد في الكل .

○ ○ ○ ○

خاتمة بها نقاط مهمة

● **وآخر ما نختم به هذه المقالة** : أنا نوصيكم وأنفسنا بتقوىٰ الله وأن تلتزموا بثلاث آيات من كتاب الله :

الأولى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

فتنزهوا رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق .

الثانية : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة بالكتاب والسنة على أساس التنزيه كما جاء : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

الثالثة : أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية ؛ لأَنَّ إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، وهذا نصَّ عليه في « سورة طه » حيث قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

فقوله ﴿ يُحِيطُونَ بِهِ ﴾ فعل مضارع ، والفعل الصناعي الذي يسمى بالفعل المضارع وفعل الأمر والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن كما قال ابن مالك في « الخلاصة » :

المَصْدَرُ اسم مَا سِوَىٰ الزَّمان من
مَدلُولَي الفِعْلِ كَأَمْنٍ من أَمِنْ

وقد حرر « علماء البلاغة » في مبحث الاستعارة التبعية : أنه ينحل عن : « مصدر ، وزمن ، ونسبة » .

فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا ﴿ فيحيطون ﴾ في مفهومها

« الإحاطة » فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح .

فيصير المعنى : لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض ، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها .

فالإحاطة المسندة للعلم مَنْفِيَّة عن رب العالمين ، فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء ، ولا صفة يد ، ولا أصابع ولا عجب ، ولا ضحك ؛ لأَنَّ هذه الصفات كلها من باب واحد .

فما وصف الله به نفسه منها فهو حق لائق بكماله وجلاله لا يشبه شيئًا من صفات المخلوقين ، وما وصف به المخلوقون فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم .

○ وهذا الكلام الكثير أوضحه الله في كلمتين :

- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ تنزيه بلا تعطيل .

- ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ إيمان بلا تمثيل .

فيجب من أول الآية : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ التنزية الكامل الذي ليس فيه تعطيل .

ويلزم من قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإيمان بجميع الصفات الذي ليس فيه تمثيل .

فأول الآية : تنزيه ، وآخرها : إيمان .

* ومن عمل بالتنزيه الذي في : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

والإيمان الذي في قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقطع النظر عن إدراك الكنه والكيفية المنصوص في قوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] خرج سالماً .

○ وقد ذكرت لكم مرارًا أني أقول :

هذه الأسس الثلاثة التي ركزنا عليها البحث وهي :

١ ـ تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

٢ ـ والإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها وعدم التهجم على الله بنفي ما أثبته لنفسه .

٣ ـ وقطع الطمع عن إدراك الكيفية .

لو (متم يا إخوان) وأنتم على هذا المعتقد ، أترون الله يوم القيامة يقول لكم : لم نزهتموني عن مشابهة الخلق ويلومكم على ذلك ؟!

لا وكلا والله لا يلومكم على ذلك .

ـ أترون الله يلومكم على أنكم آمنتم بصفاته وصدقتموه فيما أثنى به على نفسه ويقول لكم : لم أثبتم لي ما أثبته لنفسي أو أثبته لي رسولي ؟

لا والله لا يلومكم على ذلك ولا تأتيكم عاقبة سيئة من ذلك .

ـ كذلك لا يلومكم الله يوم القيامة ويقول لكم : لم قطعتم الطمع عن إدراك الكيفية ولم تحددوني بكيفية مدركة ؟!

* ثُمَّ إنا نقول : لو تنطع متنطع وقال : نحن لا ندرك كيفية « نزول » منزهة عن نزول الخلق ، ولا ندرك كيفية « يد » منزهة عن أيدي الخلق ، ولا ندرك كيفية « استواء » منزهة عن استواءات الخلق فبينوا لنا كيفية معقولة منزهة تدركها عقولنا ؟!

فنقول : أولًا : هذا السؤال الذي قال فيه مالك بن أنس : « والسؤال عن هذا بدعة » .

ولكن نجيب ونقول : أتعرف أيها المتنطع السائل الضال كيفية الذات المقدسة الكريمة المتصفة بـ « صفة النزول » و « صفة اليد » و « صفة الاستواء » و « صفة السمع » و « البصر » و « القدرة » و « الإرادة » و « العلم » ؟

فلابُدَّ أن يقول : لا .

فنقول : معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات ، إذ الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها .

ونضرب مثلًا ولله المثل الأعلى ، فإن الأمثال لا تضرب لله ، ولكن الأخرويات لا مانع منها كما جاء بها القرآن .

فنقول مثلًا كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله : لفظة (رأس) الراء والهمزة والسين رأس هذه الكلمة أضفها إلى المال ، وأضفها إلى الوادي ، وأضفها إلى الجبل .

قل : رأس المال . رأس الجبل .. فانظر ما صار من الاختلاف بين هذه المعاني بحسب هذه الإضافات .

وهذا مخلوق ضعيف مسكين فما بالك بالبون الشاسع الذي بين صفة الخالق جل وعلا وصفة المخلوق ؟

★ ★ ★

* وختامًا يا إخواني نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث :

١ـ أن تنزهوا ربكم عن مشابهة صفات الخلق .

٢ ـ أن تؤمنوا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ إيمانًا مبينًا على أساس التنزيه على نحو :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

٣ـ وتقطعوا الطمع في إدراك الكيفية ؛ لأَنَّ الله يقول :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

★★★

● **ونريد أن نختم هذه المقالة بنقطتين :**

إحداهما : أنه ينبغي للمؤولين أن ينظروا في قوله تعالى لليهود :

﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ [البقرة : ٥٨] .

فإنهم زادوا في هذا اللفظ المنزل نونًا فقالوا : « **حنطة** »(١) .

فسمى الله هذه الزيادة تبديلًا فقال في البقرة :

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّن السَّماءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٩] .

وقال في الأعراف : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٢]

* وكذلك المؤولون للصفات قيل لهم ﴿ اسْتَوَىٰ ﴾ فزادوا « لامًا »

(١) البخاري (٣٤٠٣) ومسلم (٣٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فقالوا : « **استولى** » .

فانظر ما أشبه لامهم هذه التي زادوها بنون اليهود التي زادوها ؟! ذكر هذا ابن القيم .

الثانية : أنه ينبغي للمؤولين أن يتأمَّلوا آية من « سورة الفرقان » وهي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] ويتأملوا معها قوله تعالى في سورة فاطر : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] .

فإن قوله في الفرقان : ﴿ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] بعد قوله : ﴿ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ ﴾ يدل دلالة واضحة : أن الله الذي وصف نفسه بـ « الاستواء » خبير بما يصف به نفسه لا تخفي عليه الصفة اللائقة من غيرها .

ـ ويفهم منه : أن الذي ينفي عنه « صفة الاستواء » ليس بخبير ، نعم هو والله ليس بخبير .

وصلى الله على عبده ورسوله محمد ﷺ ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

★★★

● ثم إنا نريد إنهاء البحث بالمقارنة بين ما يسمونه مذهب السلف ومذهب الخلف ، وقولهم : « **إن مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أحكم وأعلم** » فنقول :

أولا : وصفوا مذهب السلف بأنه أسلم ، وهي صيغة تفضيل من السلامة

وما كان يفوق غيره ويفضله في السلامة فلا شك أنه أعلم منه وأحكم .

ثانيًا : اعلموا أن المؤولين ينطبق عليهم بيت الشافعي رحمه الله :

رَامَ نَفْعًا فَضَرَّ مِنْ غَيرِ قَصْدٍ
ومِنَ البِرِّ ما يكونُ عُقُوقًا

وإيضاح المقارنة : أن من كان على معتقد السلف الصالح إذا سمع مثلا قوله تعالى : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ امتلأ قلبه من الإجلال والتعظيم والإكبار لصفة رب العالمين التي مدح بها نفسه وأثنى عليه بها ، فجزم بأن تلك الصفة التي تمدح بها خالق السموات والأرض بالغة من غايات الكمال والجلال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينها وبين صفات الخلق ؛ لأن الصفة لا يمكن أن تشبه صانعها في ذاته ، ولا في شيء من صفاته .

وبإجلال تلك الصفة وتعظيمها وحملها على أشرف المعاني اللائقة بكمال من وصف بها نفسه وجلاله ، يسهل على المؤمن السلفي أن يؤمن بتلك الصفة ، ويثبتها لله كما أثبتها الله لنفسه على أساس التنزيه .

فيكون أولًا : منزهًا سالمًا من أقذار التشبيه .

وثانيًا : مؤمنًا بالصفات ، مصدقًا بها ، على أساس التنزيه . فيكون سالمًا من أقذار التعطيل .

فيجمع بين التنزيه والإيمان بالصفات على نحو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

فمعتقده طريق سلامة محققة ؛ لأنه مبني على ما تضمنته آية ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الآية ، من التنزيه ، والإيمان بالصفات .

فهو تنزيه من غير تعطيل ، وإيمان من غير تشبيه ولا تمثيل .

وكل هذا طريق سلامة محققة ، وعمل بالقرآن .

فهذا هو مذهب السلف وأما ما يسمونه مذهب الخلف فالحامل لهم فيه على نفي الصفات وتأويلها : هو قصدهم تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

ولكنهم في محاولتهم لهذا التنزيه وقعوا في ثلاث بلايا ، ليست واحدة منها إلا وهي أكبر من أختها :

الأولى من هذه البلايا الثلاث : أنهم إذا سمعوا قول الله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ زعموا أن ظاهر الاستواء في الآية هو مشابهة استواء المخلوقين . فتهجموا على ما وصف الله به نفسه في محكم كتابه ، وادعوا عليه أن ظاهره المتبادر منه هو التشبيه بالمخلوقين في استوائهم .

فكأنهم يقولون لله : هذا الاستواء الذي أثنيت به على نفسك في سبع آيات من كتابك ظاهره قذر نجس لا يليق بك لأنه تشبيه بالمخلوقين ، ولا شيء من الكلام أقذر وأنجس من تشبيه الخالق بخلقه !

سبحانك هذا بهتان عظيم !

وهذه هي البلية الأولى التي هي التهجم على نصوص الوحي وادعاء أن ظاهرها تشبيه الخالق بالمخلوق ، وناهيك بها بلية .

ثم لما تقررت هذه البلية في أذهانهم ، وتقذرت قلوبهم بأقذار التشبيه ، اضطروا بسببها إلى نفي صفة الاستواء فرارًا من مشابهة الخلق التي افتروها على نصوص القرآن أنها هي ظاهرها .

ونفي الصفة التي أثنىٰ الله بها على نفسه من غير استناد إلى كتاب أو سنة

هو البلية الثانية التي وقعوا فيها .

فحملوا نصوص القرآن أولا على معان غير لائقة بالله ، ثم نفوها من أصلها ، فرارًا من المحذور الذي زعموا .

والبلية الثالثة : أنهم يفسرون الصفة التي نفوها بصفة أخرى ، من تلقاء أنفسهم ، من غير استناد إلى وحي ؛ مع أن الصفة التي فسرها بها هي بالغة غاية التشبيه بالمخلوقين . فيقولون ﴿ اسْتَوَىٰ ﴾ ظاهره مشابهة استواء المخلوقين . فمعنى ﴿ استوى ﴾ : استولى ، ويستدلون بقول الراجز[1] في إطلاق الاستواء على الاستيلاء :

قـد اسـتـوى بِـشْـرٌ عَـلَـى الـعِـراقِ
مـن غـيـر سَـيْـفٍ وَدَمٍ مـهـراقِ

ولا يدرون أنهم شبهوا استيلاء الله على عرشه الذي زعموه باستيلاء « بِشْر بن مروان » على العراق !!

فأي تشبيه بصفات المخلوقين أكبر من هذا ؟!

وهل يجوز لمسلم أن يشبه صفة الله التي هي الاستيلاء المزعوم بصفة بشر

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ١٤٦ ـ مجموع الفتاوى) : « لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي ، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه ، وقالوا : إنه مصنوع لا يُعْرف في اللغة . وقد عُلِم : أنه لو احْتجَّ بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته ، فكيف ببيت من الشعر لا يُعرف إسناده ؟! وقد طعن فيه أئمة اللغة ، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه الإفصاح قال : سُئل الخليل : هل وجدتم في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب ؛ ولا هو جائز في لُغَتها . وهو إمام في اللغة على ما عُرف من حاله ؛ فحينئذ حَمْلُه على ما لا يُعْرف حملٌ باطل » إهـ .

التي هي استيلاؤه على العراق ؟

وصفة الاستيلاء من أوغل الصفات في التشبيه بصفات المخلوقين ، لأن فيها التشبيه باستيلاء مالك الحمار على حماره ، ومالك الشاة على شاته ويدخل فيها كل مخلوق قهر مخلوقًا واستولى عليه .

وفي هذا من أنواع التشبيه ما لا يحصيه إلا الله .

فإن زعم من شَبَّهَ أولا ، وعطَّلَ ثانيًا ، وشبَّه ثالثًا أيضًا : أن الاستيلاء المزعوم منزَّه عن مشابهة استيلاء المخلوقين .

قلنا له : نحن نسألك ونطلب منك الجواب بإنصاف : أيهما أحق بالتنزيه عن مشابهة الخلق ! الاستواء الذي مدح الله به نفسه في محكم كتابه وهو في نفس القرآن الذي يتلى ، ولتاليه بكل حرف منه عشر حسنات ، لأنه كلام الله ، أم الأحق بالتنزيه هو الاستيلاء الذي جئتم به من تلقاء أنفسكم من غير استناد إلى وحي ؟

ولا شك أن الجواب الحق : أن اللفظ الوارد في القرآن أحق بالتنزيه والحمل على أشرف المعاني وأكملها ، من اللفظ الذي جاء به معطل من كِيسِهِ الخاص ، لا مستند له من الوحي !

وبهذه الكلمات القليلة يظهر لكم : « **أن مذهب السلف أسلم وأحكم وأعلم** » . وقد بسطنا هذه المقارنة في غير هذا الموضع ، فاختصرناها هنا ، والعلم عند الله تعالى . وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

○ ○ ○ ○

٣

فتح رَبّ البرية

بتلخيص الحموية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

لخصها

فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين

مكتبة أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونَتُوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أَعْمَالنا . من يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضْلِلِ فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فإن الله تعالىٰ بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وقُدْوةً للعاملين وحجة على العباد أجمعين ، فأَدَّىٰ الأمانة ، وبلَّغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وبيَّنَ للناس جميع مايحتاجون إليه في أُصُول دينهم وفروعه .

فلم يدع خيرًا إلا بيَّنَهُ وحَثَّ عليه ، ولم يترك شرًّا إلا حذر الأمة عنه ، حتى ترك أُمتَهُ على المَحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها ، فسار عليها أصحابه نيِّرة مضيئة ، وتلقَّاها عنهم : كذلك القرون المُفَضَّلة حتى تجَهَّم الجو بظلمات البدع المتنوعة التي كاد بها مُبْتَدعوها الإسلام وأهله وصاروا يتخبطون فيها خبط عشواء ويبنون معتقداتهم على نسج العنكبوت وأوهي .

والرَّب تعالىٰ يحمي دينه بأوليائه الذين وَهَبَهم من الإيمان والعلم والحكمة ما به يصدون هؤلاء الأعداء ويردُّون كيدهم في نُحُورهم .

فما قام أحد ببدعة إلا قيَّضَ الله ـ وله الحمد ـ من أهل السنة من يَدْحض بدعته ويبطلها .

○ **وكان** في مقدمة القائمين على هؤلاء المبتدعة « **شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي** »

○ **المولود** في حرَّان يوم الاثنين الموافق ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية .

○ **والمتوفي** محبوسًا ظلمًا في قلعة دمشق في ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية .

○ **وله** المؤلفات الكثيرة في بيان السُّنَّة وتوطيد أركانها وهدم البدع .

○ **ومما ألفه** في هذا الباب رسالة « الفتوى الحموية » التي كتبها جوابًا لسؤال وَرَدَ عليه في سنة ٦٩٨ هجرية من « حماة » ـ بلد في الشام ـ يسأل فيه عما يقوله الفقهاء وأئمة الدين في آيات الصفات وأحاديثها .

فأجاب بجواب يقع في حوالي ٨٣ صفحة وحَصَلَ له بذلك محنة وبلاء فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

○ ولما كان فهم هذا الجواب والإحاطة به مما يَشُقُّ على كثير من قُرَّائِه أحببت أن أُلَخِّص المُهِم منه مع زيادات تدعو الحاجة إليها وسمَّيته :

(فتح رب البرية بتلخيص الحموية)

* وقد طبعته لأول مرة في سنة ١٣٨٠ هجرية ، وها أنا أعيد طبعه للمرة الثانية وربما غيَّرت ما رأيت من المصلحة تغييره من زيادة أو حذف .

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه ونافعًا لعباده إِنَّه جوَّاد كريم .

محمد الصالح العثيمين

○ ○ ○ ○

الباب الأول

فيما يجب على العبد في دينه

الواجب على العبد في دينه : هو اتِّبَاعُ ما قَالَهُ الله ، وقَالَهُ رسوله محمد ﷺ ، والخلفاء الراشدون المَهْديون من بعده من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وذلك : أن الله بعث محمدًا ﷺ بالبينات والهدى ، وأَوْجَب على جميع الناس أن يؤمنوا به ويتبعوه ظاهرًا وباطنًا ، فقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوه لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال النبي ﷺ : « عَلَيكُم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المَهْدِيين من بَعْدي تَمَسَّكُوا بها وَعَضُّوا عليها بالنَّواجذ وإِيَّاكُم ومُحْدَثَات الأُمور فإِنَّ كل مُحْدَثة بدعة وكُل بدعة ضلالة »[١] .

والخلفاء الراشدون : هم الذين خلفوا النبي ﷺ في العلم النافع والعمل الصَّالح .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) وأبوداود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢ ، ٤٣) من حديث العرباض بن سارية .

وصحَّحه : ابن حبان (١٠٢ ـ موارد) والحاكم (١ / ٩٧) ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : « حَسَنٌ صَحيحٌ » ، ونقل ابن عبد البر عن أبي بكر أحمد بن عمرو البزار قوله : « حديث عرباض في الخلفاء الراشدين صحيح ثابت » ثم قال : « وهو كما قال » .

وصحَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠ / ٣٠٩ ـ مجموع الفتاوى) ، وفي اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٥٧٩) .

وأَحَقُّ الناس بهذا الوصف : هم الصحابة رضي الله عنهم ؛ فإن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ، وإِقَامَة دينه .

ولم يكن الله تعالى ليختار ـ وهو العليم الحكيم ـ لِصُحْبَة نبيه إلَّا من هم أَكْمَلُ إيمانًا وأرجحهم عقولًا وأقومهم عملًا وأَمْضَاهم عزمًا وأهداهم طريقًا فكانوا أحق الناس أن يُتَّبَعوا بعد نبيهم ﷺ ، ومن بعدهم أئمة الدِّين الذين عُرِفُوا بالهُدى والصَّلاح .

○ ○ ○ ○

الباب الثانى

فيما تضمنته رسالة النبي ﷺ من

بيان الحق في أصول الدين وفروعه

رسالة النبي ﷺ تتضمن شيئين هما : العلم النافع ، والعمل الصالح .

كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

ـ فالهدىٰ : هو العلم النافع .

ـ ودين الحق : هو العمل الصالح الذي اشتمل على الإخلاص لله ، والمتابعة لرسوله ﷺ .

* والعلم النافع يتضمن : كل علم يكون للأمة فيه خير وصلاح في معاشها ومعادها ، وأول مايدخل في ذلك العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله فإن العلم بذلك أنفع العلوم ، وهو زبدة الرسالة الإلهية وخلاصة الدعوة النبوية وبه قوام الدين قولًا وعملًا واعتقادًا .

ومن أجل هذا كان من المستحيل أن يهمله النبي ﷺ ولا يبينه بيانًا ظاهرًا ينفي الشك ويدفع الشبهة . وبيان استحالته من وجوه :

الأول : أن رسالة النبي ﷺ كانت مشتملة على النور والهدى ؛ فإن الله بعثه بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا حتى ترك أُمَّتَهُ على المَحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وأعظم النور وأبلغه : مايَحْصُل للقلب بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فلابد أن يكون النبي ﷺ قد بيَّنَهُ غاية البيان .

الثاني : أن النبي ﷺ علَّم أمته جميع ماتحتاج إليه من أُمور الدين والدنيا حتى آداب الأكل والشرب والجلوس والمنام وغير ذلك .

قال أبو ذر رضي الله عنه : « لقد تُوفِّي رَسُولَ الله ﷺ وَمَاطَائرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْه إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا »(١) .

ولا ريب أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله داخل تحت هذه الجملة العامة بل هو أول مايدخل فيها لشدة الحاجة إليه .

الثالث : أن الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أساس الدين وخلاصة دعوة المرسلين ، وهو أَوْجَب وأفضل ما اكتسبته القلوب وأدركته العقول ، فكيف يهمله النبي ﷺ من غير تعليم ولا بيان مع أنه كان يعلم ما هو دونه في الأهمية والفضيلة ؟

الرابع : أن النبي ﷺ كان أعلم الناس بربه ، وهو أنصحهم للخلق وأبلغهم في البيان والفصاحة ، فلا يمكن مع هذا المقتضىٰ التام للبيان أن يترك باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته مُلْتَبِسًا مُشْتَبِهًا .

الخامس : أن الصحابة رضي الله عنهم لابد أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب ؛ لأن ضد ذلك : إِمَّا السكوت ، وإِمَّا القول بالباطل وكلاهما ممتنع عليهم .

● **أما امتناع السكوت** : فوجهه أن السكوت إِمَّا أن يكون عن : جهل منهم بما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات ، وما يجوز عليه منها ويمتنع وإِمَّا أن يكون عن علم منهم بذلك ولكن كتموه ، وكل منهما ممتنع .

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ** : رواه ابن حبان (٦٥ – الإحسان) والطبراني (١٦٤٧) والبزار (١٤٧) من طريق أبي الطفيل عامر بن واثلة عن أبي ذر ، وإسناده صحيح .

* **أما امتناع الجهل** : فلأنه لا يمكن لأي قلب فيه حياة ووعي وطلب للعلم ونهمة في العبادة إلا أن يكون همه هو البحث في الإيمان بالله تعالى ومعرفته بأسمائه وصفاته وتحقيق ذلك علمًا واعتقادًا .

ولا ريب أن القرون المفضلة وأفضلهم الصحابة هم أبلغ الناس في حياة القلوب ومحبة الخير وتحقيق العلوم النافعة كما قال النبي ﷺ : « خَيْرُ النَّاس قَرْنِي ثُمَّ الَّذين يَلُونَهُم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم »[1] .

وهذه الخيرية تعم فضلهم في كل ما يُقَرِّب إلى الله من قول وعمل واعتقاد .

ثم لو فرضنا أنهم كانوا جاهلين بالحق في هذا الباب لكان جهل من بَعْدَهُم من باب أولىٰ ؛ لأن معرفة مايثبت لله تعالىٰ من الأسماء والصفات أو ينفىٰ عنه إنما تتلقى من طريق الرسالة ، وهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين الأمة وعلى هذا الفرض يلزم أن لا يكون عند علم في هذا الباب وهذا ظاهر الامتناع .

* **وأما امتناع كتمان الحق** : فلأن كل عاقل مُنْصِف عرف حال الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على نشر العلم النافع وتبليغه الأمة ؛ فإنه لن يمكنه أن ينسب إليهم كتمان الحق ولا سيما في أوجب الأمور ، وهو معرفة الله وأسمائه وصفاته .

ثم إنه قد جاء عنهم من قول الحق في هذا الباب شيء كثير يعرفه من طلبه

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَوَاتِرٌ** : رواه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣٣) (٢١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه . وفي الباب عن جمع من الصحابة ، ولذا صرَّح بتواتره الحافظ ابن حجر في مقدمة الإصابة (١ / ١٣) .

وتتبعه .

● **وأما امتناع القول بالباطل عليهم** ، فمن وجهين :

أحدهما : أن القول بالباطل لايمكن أن يقوم عليه دليل صحيح .

ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم أبعد الناس عن القول فيما لم يقم عليه دليل صحيح خصوصا في أمر الإيمان بالله تعالى وأمور الغيب .

فهم أولىٰ الناس بامتثال قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء : ٣٦] وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

ثانيهما : أن القول بالباطل إمَّا أن يكون مصدره الجهل بالحق ، وإمَّا أن يكون مصدره إرادة ضلال الخلق ، وكلاهما ممتنع في حق الصحابة رضي الله عنهم .

ـ أما امتناع الجهل : فقد تقدم بيانه .

ـ وأما امتناع إرادة ضلال الخلق : فلأن إرادة ضلال الخلق قَصْدٌ سيئ لا يمكن أن يصدر من الصحابة الذين عُرِفُوا بتمام النُّصْح للأمة ومحبة الخير لها .

ثم لو جاز عليهم سوء القصد فيما قالوه في هذا الباب لجاز عليهم سوء القصد فيما يقولون في سائر أبواب العلم والدين فتعدم الثقة بأقوالهم وأخبارهم في هذا الباب وغيره .

وهذا من أبطل الأقوال ؛ لأنه يستلزم القدح في الشريعة كلها !

وإذا تبين : أن الصحابة رضي الله عنهم لابد أن يكونوا قائلين بالحق في

هذا الباب : فإنهم إمَّا أن يكونوا قائلين ذلك بعقولهم ، أو من طريق الوحي والأول ممتنع ؛ لأن العقل لا يدرك تفاصيل مايجب لله تعالى من صفات الكمال ، فتعيَّن الثاني وهو : أن يكونوا تلقوا هذه العلوم من طريق رسالة النبي ﷺ ، فيلزم أن يكون النبي ﷺ قد بَيَّنَ الحق في أسماء الله وصفاته وهذا هو المطلوب .

○ ○ ○ ○

الباب الثالث

في طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته

أهل السنة والجماعة : هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهرًا وباطنًا في القول والعمل والاعتقاد .

● **وطريقتهم في أسماء الله وصفاته** كما يأتي :

١ـ **في الإثبات** : فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

٢ـ **في النفي** : فطريقتهم : نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثُبوت كمال ضده لله تَعَالَىٰ .

٣ـ **فيما لم يرد نفيه ولا إثباته** مما تنازع الناس فيه كـ : « الجسم » و « الحيز » و « الجهة » ونحو ذلك ..

فطريقتهم فيه : التوقف في لفظه ، فلا يثبتونه ولا ينفونه ، لعدم وُرُود ذلك ، وأما معناه فيستفصلون عنه ؛ فإن أُرِيدَ به باطل ينزه الله عنه رَدُّوه ، وإن أُرِيدَ به حقٌّ لا يمتنع على الله قبلوه .

وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل .

● **وقد دل على وجوبها** : العقل والسمع :

* **فأما العقل** : فوجه دلالته : أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله تَعَالَىٰ لا يُدْرَك إلا بالسمع فوجب اتِّباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والسُّكوت عمَّا سكت عنه .

* **وأما السمع** : فمن أدلته :

١ـ قوله تَعَالَىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

٢ـ وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

٣ـ وقوله ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

* فالآية الأولى : دَلَّت على وجوب الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل ؛ لأنهما من الإلحاد .

* والآية الثانية : دَلَّت على وجوب نفي التمثيل .

* والآية الثالثة : دَلَّت على وجوب نفي التكييف وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه .

* وكل ما ثبت لله من الصفات : فإنها صفات كمال يحمد عليها ويثنى بها عليه وليس فيها نقص بوجه من الوجوه ، فجميع صفات الكمال ثابتة لله تَعَالَىٰ على أكمل وجه .

* وكل ما نفاه الله عن نفسه : فهو صفات نقص تُنَافي كماله الواجب ، فجميع صفات النقص متنعة على الله تَعَالَىٰ لوجوب كماله .

* وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به : انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها ؛ وذلك أن النفي لا يدل على الكمال حتى يكون مُتَضَمِّنًا لصفة ثبوتية يُحْمَدُ عليها ، فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصًا ، كما في قول الشاعر[1] :

---

(١) البيت للنجاشي ، واسمه : قيس بن عمرو بن مالك من قصيدة يهجو بها بني العجلان . راجع : « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (١ / ٣٢٩) والإصابة لابن حجر (٦ / ٤٩٣) .

قُبَيِّـــــــلَةٌ لا يَغْـــــدرونَ بِذِمَّـــةٍ
وَلَا يَـظْـلِـمُـونَ الـنَّـاس حَـبَّـة خَـرْدَلِ

وقد يكون سببه : عدم القابلية فلا يقتضي مدحًا .

كما لو قلت : الجِدَار لا يَظْلِم .

* إذا تبين هذا فنقول :

مما نفىٰ الله عن نفسه « الظُّلم » .

فالمراد به : انتفاء الظُّلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو « العدل » .

ونفى عن نفسه « اللُّغوب » وهو التعب والإعياء .

فالمراد : نفي اللُّغوب مع ثبوت كمال ضده وهو « القوة » .

وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه والله أعلم .

□ **التحريف** :

التحريف : لغة التغيير .

وفي الاصطلاح : تغيير النص لفظا أو معنى .

والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير .

فهذه ثلاثة أقسام :

(أ) **تحريف لفظي** : يتغير معه المعنى .

كتحريف بعضهم قوله تَعَالَىٰ : ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] إلى نصب الجلالة ليكون التَّكليم من موسىٰ .

(ب) **وتحريف لفظي** : لا يتغير معه المعنى .

كفتح الدال من قوله تَعَالَىٰ : ﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] .

وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود

لفاعله غالبا .

(ج) **وتحريف معنوي** : وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل .

كتحريف معنى « اليدين » المضافتين إلى الله إلى « القوة والنعمة » ونحو ذلك ..

□ **التعطيل :**

التعطيل لغة : التفريغ والإخلاء .

وفي الاصطلاح هنا : إنكار ما يجب لله تَعَالَىٰ من الأسماء والصفات ، أو إنكار بعضه . فهو نوعان :

* **تعطيل كلي** : كتعطيل « الجهمية » الذين أنكروا الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضا .

* **وتعطيل جزئي** : كتعطيل « الأشعرية » الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض .

وأول من عُرِفَ بالتعطيل من هذه الأمة : هو « الجعد بن درهم » .

□ **التكييف:**

التكييف : حكاية كيفية الصفة .

كقول القائل : كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا : كذا وكذا .

□ **التمثيل والتشبيه :**

* التمثيل : إثبات مَثِيل للشئ .

* والتشبيه : إثبات مُشَابه له .

فالتمثيل يقتضي : المُمَاثَلة وهي المساواة من كل وجه .

والتشبيه يقتضي : المُشَابهة وهي المساواة في أكثر الصفات .

وقد يطلق أحدهما على الآخر .

* والفرق بينهما وبين التكييف من وجهين :

أحدهما : أن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أم مقيدة بشبيه ، وأما التمثيل والتشبيه فيدلان على كيفية مقيدة بالمماثل والمشابه .

ومن هذا الوجه يكون التكييف أعم ؛ لأن كل ممثل مُكَيِّف ولا عكس .

ثانيهما : أن التكييف يختص بالصفات ، أما التمثيل فيكون في « القَدْر » و « الصفة » و « الذات » ومن هذا الوجه يكون أعم لتعلقه بالذات والصفات والقَدْر .

* ثم التشبيه الذي ضل به من ضل من الناس على نوعين :

أحدهما : تشبيه المخلوق بالخالق .

والثاني : تشبيه الخالق بالمخلوق .

● **فأما تشبيه المخلوق بالخالق** فمعناه : إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات .

فالأول : كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقًا .

والثاني : كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقًّا في الألوهية فعبدوها مع الله .

والثالث : كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره ، مثل قول « المتنبي » يمدح « عبد الله بن يحيى البحتري »[1] :

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري (٢ / ٣٧٩) وفيه « أو كيف » بدل « وكيف » .

فَكُنْ كَمَا شِئْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ
وَكَيفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ يُدَانِيكَا

● **وأما تشبيه الخالق بالمخلوق** فمعناه : أن يثبت لله تَعَالَىٰ في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك .

كقول القائل : إنَّ يدي الله مثل أيدي المخلوقين واستواءه على عرشه كاستوائهم ونحو ذلك .

* وقد قيل : إن أوَّل من عرف بهذا النوع : هشام بن الحكم الرافضي . والله أعلم .

□ **الإلحاد :**

الإلحاد في اللغة : الميل .

وفي الاصطلاح : الميل عما يجب اعتقاده أو عمله .

* وهو قسمان :

أحدهما : في أسماء الله .

والثاني : في آياته .

● **فأما الإلحاد في أسمائه :**

فهو العُدُول عن الحق الواجب فيها . وهو أربعة أنواع :

١ـ أن ينكر شيئًا منها أو مما دلَّت عليه الصفات كما فعل « المُعَطِّلة » .

٢ـ أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه كما فعل « المُشَبِّهة » .

٣ـ أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه ؛ لأن أسماء الله توقيفية :

كتسمية « النصارى » له « أَبا » .

وتسمية « الفلاسفة » إياه « علَّة فاعلة » ونحو ذلك .

٤ـ أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كاشتقاق « اللات » من الإله و « العزى » من العزيز .

● **وأما الإلحاد في آياته :**

* فيكون في الآيات الشرعية : وهي ما جاءت به الرسل من الأحكام والأخبار .

* ويكون في الآيات الكونية : وهي ما خلقه الله ويخلقه في السموات والأرض .

* **فأما الإلحاد في الآيات الشرعية** : فهو تحريفها أو تكذيب أخبارها أو عصيان أحكامها .

* **وأما الإلحاد في الآيات الكونية** : فهو نسبتها إلى غير الله أو اعتقاد شريك أو معين له فيها .

○ ○ ○ ○

الباب الرابع

في بيان صحة مذهب السلف وبطلان القول بتفضيل مذهب الخلف في العلم والحكمة على مذهب السلف

سبق القول في بيان طريقة السلف وذكر الدليل على وجوب الأخذ بها ، أما هنا فإننا نريد أن نُبَرهن على أن مذهب السلف هو المذهب الصحيح وذلك من وجهين :

أحدهما : أن مذهب السلف دلَّ عليه الكتاب والسنة ، فإن من تتبع طريقتهم بعلم وعدل وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملةً وتفصيلًا ولابد فإن الله تَعَالَىٰ أنزل الكتاب ليَدَّبَّر الناس آياته ويعملوا بها إن كانت أحكاما ، ويُصَدِّقوا بها إن كانت أخبارًا ، ولا ريب أن أقرب الناس إلى فهمها وتصديقها والعمل بها هم السلف ؛ لأنها جاءت بلغتهم وفي عصرهم ، فلا جرم أن يكونوا أعلم الناس بها فقهًا وأَقْوَمهم عملًا .

الثاني : أن يقال : إن الحق في هذا الباب إمَّا أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله الخلف ، والثاني باطل ؛ لأنه يلزم عليه أن يكون الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار قد تكلَّمُوا بالباطل تصريحًا أو ظاهرًا ولم يتكلموا مرة واحدة بالحق الذي يجب اعتقاده لا تصريحًا ولا ظاهرًا فيكون وجود الكتاب والسنة ضررًا مَحْضًا في أصل الدين وترك الناس بلا كتاب ولا سنة خيرًا لهم وأقوم وهذا ظاهر البطلان .

* هذا وقد قال بعض الأغبياء : « **طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم** » !!

ومنشأ هذا القول أمران :

أحدهما : اعتقاد قائله ـ بسبب ما عنده من الشبهات الفاسدة ـ أن الله تَعَالَىٰ ليس له في نفس الأمر صفة حقيقية دلت عليها هذه النصوص .

الثاني : اعتقاده أن طريقة السلف هي الإيمان بمجرد ألفاظ نصوص الصفات من غير إثبات معنى لها .

فيبقى الأمر دائرا بين أن نؤمن بألفاظ جوفاء لا معنى لها وهذه طريقة السلف ـ على زعمه ـ وبين أن نثبت للنصوص معاني تخالف ظاهرها الدال على إثبات الصفات لله وهذه هي طريقة الخلف .

ولا ريب أن إثبات معاني النصوص أبلغ في العلم والحكمة من إثبات ألفاظ جوفاء ليس لها معنى ، ومن ثم فضل هذا الغبي طريقة الخلف في العلم والحكمة على طريقة السلف :

وقول هذا الغبي يتضمن حقا وباطلا .

ـ فأما الحق فقوله : إن مذهب السلف أَسْلَم .

ـ وأما الباطل فقوله : إن مذهب الخلف أعلم وأحكم .

وبيان بطلانه من وجوه :

الأول : أنه يناقض قوله : « إن طريقة السلف أَسْلَم » فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة العلم بأسباب السلامة ، والحكمة في سلوك تلك الأسباب .

وبهذا يتبين : أن طريقة السلف أَسْلَم وأعلم وأحكم وهو لازم لهذا الغبي لزوما لا محيد عنه .

الثاني : أن اعتقاده أن الله ليس له صفة حقيقية دلَّت عليها هذه

النصوص اعتقاد باطل ؛ لأنه مبني على شبهات فاسدة ؛ ولأن الله تَعَالَىٰ قد ثبتت له صفات الكمال عقلًا وفطرةً وشرعًا :

● **فأما دلالة العقل** : على ثبوت صفات الكمال لله فوجهه أن يقال : إن كل موجود في الخارج فلابد أن يكون له صفة إِمَّا صفة كمال وإِمَّا صفة نقص والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة .

وبذلك استدل الله تَعَالَىٰ على بطلان ألوهية الأصنام باتِّصافها بصفات النقص والعجز بكونها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا تَنْصُر ، فإذا بطل الثاني تعيَّن الأول وهو ثبوت صفات الكمال لله .

ثم إنه قد ثبت بالحسِّ والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها فمُعْطِي الكمال أولى به .

● **وأما دلالة الفطرة** : على ثبوت صفات الكمال لله فلأن النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته ، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته ؟

● **وأما دلالة الشرع** : على ثبوت صفات الكمال لله فأكثر من أن تحصر مثل قوله تَعَالَىٰ : ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الروم : ٢٧]

وقوله تَعَالَىٰ : ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

ومثل قوله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاس ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُم فَإِنَّكُم لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إنما تدعون سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا ، إِنَّ الذي تَدْعُونَهُ أَقْرب إلى أحدكم من عُنُقِ رَاحِلَتِهِ »(١) .

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

الوجه الثالث : إن اعتقاده أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها اعتقادٌ باطل كذب على السلف .

فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظًا ومَعْنىً وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تَعَالَىٰ على حسب مُرَاد الله ورسوله .

الوجه الرابع : أن السلف هم ورثة الأنبياء والمرسلين فقد تلقوا علومهم من ينبوع الرسالة الإلهية وحقائق الإيمان .

أما أولئك الخلف فقد تلقوا ما عندهم من المجوس والمشركين وضلال اليهود واليونان .

فكيف يكون ورثة المجوس والمشركين واليهود واليونان وأفراخهم أعلم وأحكم في أسماء الله وصفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين ؟

الوجه الخامس : أن هؤلاء الخلف الذين فَضَّلَ هذا الغبي طريقتهم في العلم والحكمة على طريقة السلف كانوا حَيَارىٰ مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدى ، والتماسهم علم معرفة

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥) ومسلم (٢٧٠٤) (٤٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه .

الله تَعَالَىٰ ممن لا يعرفه بإقراره على نفسه وشهادة الأمة عليه حتى قال « الرّازي » وهو من رؤسائهم مبينا ما ينتهي إليه أمرهم :

نهـــايةُ إِقْـدَامُ العُقُـــول عِـــقَالُ
وَأَكْـــثَـرُ سَـعْـي الـعـالمين ضَـــلالُ
وأَرْوَاحنـا فـي وَحْشَـةٍ من جُسُومِنَا
وغـــايـــة دُنْـيَـانَـا أَذى وَوَبَـــالُ
ولم نَسْتَفِدْ من بَحْثِنَا طُولِ عُمْرِنَا
سوى أن جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالوا [(١)]

« لقد تَأَمَّلْتُ الطُّرق الكَلَامِيَّة والمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّة فمَا رَأيتها تشفي عليلًا ولا تَرْوي غليلًا ، رأيت أقرب الطُّرُق طريقة القرآن :

أقرأ في الإثبات :

﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

وأقرأ في النفي :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

ومن جَرَّبَ مِثْل تَجْرُبَتِي عَرِفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي »[(٢)] إهـ . كلامه .

---

(١) الأبيات في كتاب « أقسام اللذات » للفخر الرازي ؛ ذكرها عنه ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٣ / ٦١ ، ٦٢) وذكر هناك أيضًا رجوعه إلى مذهب السلف . وراجع أيضًا : وفيات الأعيان (٤ / ٢٥٠) و « طبقات الشافعية » للسبكي (٨ / ٩٦) .

(٢) راجع : « درء تعارض العقل والنقل » (١ / ١٦٠) و « شرح الطحاوية » لابن أبي العز (١ / ٣٤٤) .

فكيف تكون طريقة هؤلاء الحيارى الذين أقروا على أنفسهم بالضلال والحيرة أعلم وأحكم من طريقة السلف الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدُّجَىٰ الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مَا بَرَزُوا به على سائر أتباع الأنبياء والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جمع إليه ما حصل لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم ؟

وبهذا يتبين : أن طريقة السلف أَسْلَم وَأَعْلَم وَأَحْكَم .

ο ο ο ο

الباب الخامس

في حكاية بعض المتأخرين لمذهب السلف

○ قال بعض المتأخرين : « **مذهب السلف في الصفات إمرار النصوص على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد** » إهـ .

وهذ القول على إطلاقه فيه نظر فإن لفظ (ظاهر) مجمل يحتاج إلى تفصيل :

* فإن أريد بالظاهر ما يظهر من النصوص من الصفات التي تليق بالله من غير تشبيه : فهذا مراد قطعا ، ومن قال : إنه غير مراد فهو ضال إن اعتقده في نفسه وكاذب أو مخطئ إنْ نَسَبَهُ إلى السلف .

* وإن أريد بالظاهر ما قد يظهر لبعض الناس من أن ظاهرها تشبيه الله بخلقه فهذا غير مُرَاد قطعًا وليس هو ظاهر النصوص ؛ لأن مشابهة الله لخلقه أَمْرٌ مُسْتَحِيل ، ولا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنة أَمْرًا مُسْتَحيلًا ومن ظن أن هذا هو ظاهرها فإنه يبين له أن ظنه خطأ ، وأن ظاهرها بل صريحها : إثبات صفات تليق بالله وتختص به .

وبهذا التفصيل نكون قد أعطينا النصوص حقها لفظًا ومَعْنى والله أعلم .

○ ○ ○ ○

الباب السادس

في لبس الحق بالباطل من بعض المتأخرين

○ قال بعض المتأخرين : « **إنه لا فرق بين مذهب السلف ومذهب المؤولين في نصوص الصفات ، فإن الكل اتفقوا على أن الآيات والأحاديث لا تدل على صفات الله ، لكن المتأولون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إليه وعيَّنُوا المراد ، وأما السلف فأمسكوا عن التعيين لجواز أن يكون المراد غيره » إهـ .**

هذا كذب صريح على السلف ! فما منهم أحد نفى دلالة النصوص على صفات الله التي تليق به بل كلامهم يدل على تقرير جنس الصفات في الجملة والإنكار على من نفاها أو شبه الله بخلقه :

كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : « مَنْ شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ فَقَد كَفَرَ وَمَن جَحَدَ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ فَقَد كَفَرَ وَلَيْسَ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولهُ تَشْبِيهًا »[1] إهـ . وكلامهم هذا كثير .

ومما يدل على إثبات السلف للصفات وأنهم ليسوا على وِفَاق مع أولئك المتأولين أن أولئك المُتَأَوِّلَة كانوا خُصُومًا للسلف وكانوا يرمونهم بالتشبيه والتجسيم لإثباتهم الصفات ، ولو كان السلف يُوَافقونهم في عدم دلالة النصوص على صفات الله لم يجعلوهم خصومًا لهم ويرمونهم بالتشبيه والتجسيم وهذا ظاهر ولله الحمد .

○ ○ ○ ○

(١) **أثرٌ صَحيحٌ** : أخرجه الذهبي في « العلو للعلي الغفار » ص (١٢٦) بإسناد صحيح ، وصححه الألباني في مختصره للعلو للذهبي ص (١٨٤) .

الباب السابع

في أقوال السلف المأثورة في الصفات

اشتهر عن السلف كلمات عامة ، وأخرى خاصة في آيات الصفات وأحاديثها .

○ **فمن الكلمات العامة :**

قولهم : « **أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَت بِلَا كَيْف** » .

رُوِيَ هذا عن : مكحول ، والزهري ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري والليث بن سعد ، والأوزاعي[1] .

* وفي هذه العبارة : رَدٌّ على « المعطلة » و « المشبهة » .

- ففي قولهم : « **أمروها كما جاءت** » رَدٌّ على « المعطلة » .

- وفي قولهم : « **بلا كيف** » رَدٌّ على « المشبهة » .

* وفيها أيضا : دليلٌ على أن السلف كانوا يُثْبِتُون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله تدل على ذلك من وجهين :

(**الأول**) قولهم : « **أمروها كما جاءت** » ؛ فإن معناها : إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني ، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تَعَالَىٰ ، ولو كانوا لا يعتقدون لها مَعْنى لقالوا : « أَمِرُّوا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها » ونحو ذلك .

(**الثاني**) قولهم : « **بلا كيف** » ؛ فإنه ظَاهِرٌ في إثبات حقيقة المعنى ؛ لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته ، فإن غير

(١) في كتاب « السنة » لأبي بكر الخلال ، كما في « الفتوى الحموية » ص (٧٦) .

الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته من لغو القول .

● **فإن قيل** : ما الجواب عما قاله الإمام أحمد في « حديث النزول »[1] وشبهه : « نُؤْمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ لَا كَيْفَ وَلَا مَعْنى »[2] ؟

قلنا : الجواب على ذلك : أن المعنى الذي نفاه « الإمام أحمد » في كلامه هو المعنى الذي ابتكره المعطلة من « الجهمية » وغيرهم وحرَّفُوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معاني تُخَالفه .

* ويدل على ما ذكرنا : أنه نَفَى المعنى ونَفَى الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين طائفة « المعطلة » وطائفة « المشبهة » .

* ويدل عليه أيضا : ما قاله المؤلف في قول محمد بن الحسن : « اتَّفق الفُقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأَحاديث التي جاءت بها الثِّقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرَّب عزَّ وجل من غير تفسير ولا وَصْف ولا تَشْبيه »[3] إهـ .

قال المؤلف : « أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات » إهـ .

فهذا دليل على أن تفسير آيات الصفات وأحاديثها على نوعين :

ـ تفسير مقبول ، وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون من إثبات المعنى

---

(١) يأتي تخريجه ص (١٤٤) .

(٢) راجع : « الصواعق المنزلة » لابن القيم (١ / ٢٦٥) و « مختصر الصواعق » لابن الموصلي (٢ / ٢٥١) و« مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي ص (١٥٦) وترجمة الإمام أحمد من « تاريخ الإسلام » للذهبي (٢٧) و « لمعة الاعتقاد مع شرحها » لابن عثيمين ص (٣٥) .

(٣) راجع : « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » للالكائي (٧٤٠) ، و « العلو للعلي الغفار » ص (١١٣) و « إثبات صفة العلو » لابن قدامة (٨٢) .

اللائق بالله عز وجل الموافق لظاهر الكتاب والسنة .

ـ وتفسير غير مقبول ، وهو ما كان بخلاف ذلك .

وهذا المعنى منه مقبول ومنه مردود على ما تقدم .

● **فإن قيل** : هل لصفات الله كيفية ؟

فالجواب : نعم لها كيفية ، لكنها مجهولة لنا ؛ لأن الشيء إنما تعلم كيفيته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره أو خبر الصادق عنه ، وكل هذه الطرق غير موجودة في صفات الله .

* وبهذا عرف أن قول السلف : « **بلا كيف** » معناه : بلا تكييف لم يريدوا نفي الكيفية مطلقًا ؛ لأن هذا تَعْطِيلٌ مَحْضٌ والله أعلم .

○ ○ ○ ○

الباب الثامن

في علو اللَّه تَعَالَى وأدلة العلو

علو الله تَعَالَىٰ من صفاته الذاتية وينقسم إلى قسمين :

١ـ علو ذات .

٢ـ وعلو صفات .

□ **فأما علو الصفات :**

فمعناه : أنه ما من صفة كمال إلا ولله تَعَالَىٰ أعلاها وأكملها سواء كانت من صفات المجد والقهر أم من صفات الجمال والقدر .

□ **وأما علو الذات :**

فمعناه : أن الله بذاته فوق جميع خلقه .

وقد دل على ذلك : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل ، والفطرة

● **فأما الكتاب والسنة :**

فإنهما مملوءان بما هو صريح أو ظاهر في إثبات علو الله تَعَالَىٰ بذاته فوق خلقه وقد تنوعت دلالتهما على ذلك :

○ فتارة بذكر العلو والفوقية والاستواء على العرش وكونه في السماء :

* مثل قوله تَعَالَىٰ : ﴿ وهو العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

﴿ سَبح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] .

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِم ﴾ [النحل : ٥٠] .

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦] .

* وقوله ﷺ : « والعرش فوق ذلك والله فوق العرش »[1] .

« ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء »[2] .

○ وتارة **بصعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه** :

* مثل قوله تَعَالَىٰ : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

﴿ تَعرجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] .

﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] .

وقوله ﷺ : « لا يَصْعَدُ إِلى الله إِلَّا الطَّيِّب »[3] .

« فَيعْرُجُ الَّذِين بَاتُوا فِيكُم إِلى رَبِّهم »[4] .

« يُرْفَعِ إِليه عَمَلُ اللَّيل قَبْل عَمَل النَّهار وعَمَل النَّهار قَبْل عَمَل اللَّيل »[5] .

○ وتارة **بنزول الأشياء منه ونحو ذلك** :

مثل قوله تَعَالَىٰ : ﴿ تنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٠] .

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] .

وقوله ﷺ « يَنْزِل رَبُّنا إِلى السَّماء الدُّنيا حِين يَبْقى ثُلُثُ اللَّيل

(١) جزء من « حديث الأوعال » الذي أخرجه أبوداود (٤٧٢٣) وغيره ، وهو حديث ضعيف ، في سنده أكثر من علة ، مع ما في متنه من نكارة ، وراجع : تعليقنا على الحديث في تخريج « القواعد المُثْلىٰ » لابن عثيمين ص (٦٢ ، ٦٣) ، و « فُتيا وجوابها » لابن العطار ص (٧٢) بتحقيق عبد الله بن يوسف .

(٢) جزء من حديث أبي سعيد الخدري الطويل الذي أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) (١٤٤) .

(٣) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من تَصَدَّق بِعَدْل تمرة من كَسْب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا طيبًا .. » الحديثَ . رواه البخاري (٧٤٣) .

(٤) رواه البخاري (٣٢٢٣) ومسلم (٦٣٢) (٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه مسلم (١٧٩) (٢٩٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

الآخِر »[1] .

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تواترت عن النبي ﷺ في علو الله تَعَالَىٰ على خلقه تواترًا يُوجِب علما ضروريًا بأن النبي ﷺ قالها عن ربه وتلقتها أمته عنه .

● **وأما الإجماع :**

فقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة أهل السنة على أن الله تَعَالَىٰ فوق سمواته على عرشه وكلامهم مملوء بذلك نصًّا وظاهرًا .

قال الأوزاعي : « كُنَّا والتَّابِعُون مُتَوَافِرُون نقول : إِنَّ الله تَعَالَىٰ ذِكْرُه فَوْق عَرْشِه ، ونُؤْمِنُ بِما جَاءَت بِه السُّنَّة مِن الصِّفَات »[2] .

قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب « جهم » النافي لصفات الله وعلوه ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يُخَالف مذهب « جهم » .

ولم يقل أحد من السلف قط : إن الله ليس في السماء ، ولا أنه بذاته في كل مكان ، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه .

بل قد أشار إليه أعلم الخلق به في حجة الوداع يوم عرفة في ذلك المجمع العظيم حينما رفع إصبعه إلى السماء يقول : « اللهم اشهد »[3] يشهد ربه

(١) يأتي تخريجه ص (١٤٤) .

(٢) **أَثَرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » ص (٤٠٨) والذهبي في « العلو » ص (١٠٢) وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتوى الحموية » ص (٤٣) ، وتبعه عليه ابن القيم في « اجتماع الجيوش الإسلامية » ص (٤٣) ، وقال الألباني في مختصره للعلو للذهبي ص (١٣٨) « ورواته ثقات » إهـ .

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) (١٤٧) من حديث جابر رضي الله عنه .

على إقرار أمته بإبلاغه الرسالة صلوات الله وسلامه عليه .

● **وأما العقل :**

فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه من وجهين :

الأول : أن العلو صفة كمال والله تَعَالَىٰ قد وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه فلزم ثبوت العلو له تبارك وتَعَالَىٰ .

الثاني : أن العلو ضده السفل والسفل صفة نقص والله تَعَالَىٰ منزه عن جميع صفات النقص فلزم تنزيهه عن السفل وثبوت ضده له وهو العلو .

● **وأما الفطرة :**

فإن الله تَعَالَىٰ فَطَرَ الخلق كلهم العرب والعجم حتى البهائم على : الإيمان به وبعلوه .

فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو وارتفاع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يمينا ولا شمالا ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء .

* وكان أبو المعالي الجويني يقول في مجلسه : « كَانَ الله ولا شيءَ وهو الآن على مَا كَان عليه » ؛ يُعَرِّض بإنكار استواء الله على عرشه .

فقال أبو جعفر الهمداني : دَعْنا من ذكر العرش ـ أي : لأنه ثبت بالسمع ـ وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا : ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا ؟ . فصرخ أبو المعالي ولطم رأسه وقال : حَيَّرني الهَمَداني حَيَّرني الهمداني » .

فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت على إثبات علو الله بذاته فوق خلقه .

* فأما قوله تَعَالَىٰ : ﴿ وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [الأنعام : ٣] .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ [الزخرف : ٨٤]

فليس معناهما أن الله في الأرض كما أنه في السماء ، ومن توهم هذا أو نقله عن أحد من السلف فهو مخطئ في وهمه وكاذب في نقله .

وإنما معنى **الآية الأولى** : أن الله مألوه في السموات وفي الأرض ، كل من فيهما فإنه يتأله إليه ويعبده وقيل معناها أن الله في السموات ثم ابتدأ فقال : وفي الأرض يعلم سركم وجهركم أي : إن الله يعلم سركم وجهركم في الأرض فليس علوه فوق السموات بمانع من علمه سركم وجهركم في الأرض .

وأما **الآية الثانية** فمعناها : أن الله إله في السماء وإله في الأرض فألوهيته ثابتة فيهما وإن كان هو في السماء .

ونظير ذلك قول القائل : فلان أمير في مكة وأمير في المدينة أي إنه إمَّارته ثابتة في البلدين وإن كان هو في أحدهما وهذا تعبير صحيح لغة وعرفا والله أعلم .

ο ο ο ο

الباب التاسع

في الجـهـة

نريد بهذه الترجمة أن نبين : هل الجهة ثابتة لله تَعَالَىٰ أو منتفية عنه ؟

والتحقيق في هذا : أنه لا يصح إطلاق الجهة على الله تَعَالىٰ لا نفيًا ولا إثباتًا بل لابد من تفصيل :

ـ فإن أريد بها جهة سفل ؛ فإنها منتفية عن الله وممتنعة عليه ؛ لأن الله تَعَالىٰ قد وجب له العلو المطلق بذاته وصفاته .

ـ وإن أريد بها جهة علو تحيط به فهي منتفية عن الله وممتنعة عليه أيضًا فإن الله أعظم وأجل من أن يحيط به شيءٌ من مخلوقاته كيف وقد وسع كرسيه السماوات والأرض ؟

﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

ـ وإن أريد بها جهة علو تليق بعظمته وجلاله من غير إحاطة به ؛ فهي حق ثابت لله تَعَالىٰ واجبة له .

قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتابه « الغنية » : « وهو سبحانه بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك » إهـ .

ومعنى قوله : « **محتو على الملك** » أنه محيط بالملك تبارك وتَعَالىٰ .

● **فإن قيل** : إذا نفيتم أن يكون شيءٌ من مخلوقات الله محيطا به فما الجواب عما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وأجمع عليه المسلمون من أن الله سبحانه في السماء ؟

فالجواب : أن كون الله في السماء لا يقتضي أن السماء تحيط به ومن قال ذلك فهو ضال إن قاله من عنده ، وكاذب أو مخطئ إن نسبه إلى غيره فإن كل من عرف عظمة الله تَعَالَىٰ ، وإحاطته بكل شيء وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة وأنه يطوي السماء كطي السِّجل للكتب فإنه لن يخطر بباله أن شيئا من مخلوقاته يمكن أن يحيط به .

وعلى هذا فيخرج كونه ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ على أحد معنيين :

الأول : أن يُرَاد بـ « السماء » العلو فيكون المعنى : أن الله في العلو ، أي في جهة العلو .

والسماء بمعنى العلو ثابت في القرآن : قال الله تَعَالىٰ : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [الأنفال : ١١] .

أي : من العلو لا من السماء نفسها ؛ لأن المطر ينزل من السحاب .

الثاني : أن تجعل « في » بمعنى « على » فيكون المعنى : أن الله على السماء .

وقد جاءت « في » بمعنى « على » في مواضع كثيرة من القرآن وغيره : قال الله تَعَالَىٰ : ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ ﴾ [التوبة : ٢] أي على الأرض .

○○○○

الباب العاشر

في استواء الله على عرشه

الاستواء في اللغة : يطلق على معان تدور على الكمال والانتهاء .

* وقد ورد في القرآن على ثلاثة وجوه :

١ـ مطلق :

كقوله تَعَالىٰ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ﴾ [القصص : ١٤]

أي : كمل .

٢ـ ومقيد بـ « **إلى** » :

كقوله تَعَالىٰ : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [البقرة : ٢٩]

أي : قصد بإرادة تامة .

٣ـ ومقيد بـ « **على** » :

كقوله تَعَالىٰ : ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ [الزخرف : ١٣] .

ومعناه حينئذ : العلو والاستقرار .

فاستواء الله على عرشه معناه : علوه واستقراره عليه عُلوًّا واستقرارًا يليق بجلاله وعظمته .

وهو من صفاته الفعلية التي دلَّ عليها الكتاب والسنة والإجماع :

○ **فمن أدلة الكتاب :**

قوله تَعَالَىٰ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

○ **ومن أدلة السنة :**

ما رواه الخلال في « كتاب السنة » بإسناد صحيح على شرط البخاري

عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لما فَرَغَ الله من خَلْقِه اسْتَوَىٰ عَلَىٰ عَرْشِه »[١] .

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني : « إنه مذكور في كل كتاب أنزله الله على كل نبي » إهـ .

○ وقد أجمع أهل السنة على أن الله تَعَالىٰ فوق عرشه ولم يقل أحد منهم أنه ليس على العرش ولا يمكن أحدا أن ينقل عنهم ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا .

وقال رجل للإِمَّام مالك رحمه الله : يا أبا عبد الله ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟

فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال : « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا » ثم أمر به أن يخرج[٢] .

وقد روي نحو هذا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك[٣] .

* فقوله : « **الاستواء غير مجهول** » أي : غير مجهول المعنى في اللغة فإن

(١) **حديثٌ صَحِيحٌ** : قال الذَّهبي في « العلو » ص (٥٢) : « رواته ثقات » وذكر ابن القيم في « اجتماع الجيوش الإسلامية » ص (٣٤) أن إسناده صحيح على شرط البخاري .

(٢) **أثَرٌ صَحِيحٌ** : تقدم تخريجه ص (٧٧) .

(٣) **أثَرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه الذهبي في « العلو » ص (٩٨) بإسناد صحيح عن ربيعة ، وأخرجه من طريق آخر : اللالكائي (٦٦٥) ، وابن قدامة في « إثبات صفة العلو » (٧٤) والبيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٤٠٨ ، ٤٠٩) ، وعزاه شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتوى الحموية » ص (٢٧) إلى الخلال وقال : « بإسناد كلهم أئمة ثقات » إهـ .
وقال في « مجموع الفتاوى » (٥ / ٣٦٥) بعد أن ذكر قول مالك : « ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك » إهـ .

معناه العلو والاستقرار .

* وقوله : « **والكيف غير معقول** » معناه : أنا لا ندرك كيفية استواء الله على عرشه بعقولنا وإنما طريق ذلك السمع ولم يرد السمع بذكر الكيفية فإذا انتفي عنها الدليلان العقلي والسمعي كانت مجهولة يجب الكف عنها .

* وقوله : « **الإيمان به واجب** » معناه : أن الإيمان باستواء الله على عرشه على الوجه اللائق واجب لأن الله أخبر به عن نفسه فوجب تصديقه والإيمان به .

* وقوله : « **والسؤال عنها بدعة** » معناه : أن السؤال عن كيفية الاستواء بدعة لأنه لم يكن معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه .

وهذا الذي ذكره « الإِمَّام مالك » رحمه الله في « الاستواء » ميزان عام لجميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فإن معناها معلوم لنا ، وأما كيفيتها فمجهولة لنا .

لأن الله أخبرنا عنها ولم يخبر عن كيفيتها .

ولأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فإذا كنا نثبت ذات الله تَعَالىٰ من غير تكييف لها فكذلك يكون إثبات صفاته من غير تكييف .

قال بعض أهل العلم : « إذا قال لك الجهمي : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فكيف ينزل ؟ فقل له : إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل » .

وقال آخر : « إذا قال لك الجهمي في صفة من صفات الله كيف هي ؟ فقل له : كيف هو بذاته ؟ فإنه لا يمكن أن يكيف ذاته

فقل له : إذا كان لا يمكن تكييف ذاته فكذلك لا يمكن تكييف صفاته

لأن الصفات تابعة للموصوف » .

● **فإن قال قائل** : إذا كان « استواء الله » على عرشه بمعنى « العلو عليه » لزم من ذلك أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا وهذا يقتضي أن يكون جسما والجسم ممتنع على الله .

فجوابه أن يقال : لا ريب أن الله أكبر من العرش ، وأكبر من كل شيء .

ولا يلزم على هذا القول شيء من اللوازم الباطلة التي ينزه الله عنها .

* وأما قوله : « **إن الجسم ممتنع على الله** » .

فجوابه : أن الكلام في الجسم وإطلاقه على الله نفيًا أو إثباتًا من البدع التي لم ترد في الكتاب والسنة وأقوال السلف وهو من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل .

- فإن أريد بـ « الجسم » الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الآخر : فهذا ممتنع على الرب الحي القيوم .

- وإن أريد بـ « الجسم » ما يقوم بنفسه ويتصف بما يليق به : فهذا غير ممتنع على الله تَعَالىٰ فإن الله قائم بنفسه مُتَّصف بالصفات الكاملة التي تليق به .

لكن لما كان لفظ الجسم يحتمل ما هو حق وباطل بالنسبة إلى الله صار إطلاق لفظه نفيا أو إثباتا ممتنعا على الله .

* وهذه اللوازم التي يذكرها أهل البدع ليتوصلوا بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال على نوعين :

الأول : لوازم صحيحة لا تنافي مَا وَجَبَ لله من الكمال فهذه حق يجب القول بها وبيان أنها غير ممتنعة على الله .

الثاني : لوازم فاسدة تنافي ما وجب لله من الكمال فهذه باطلة يجب نفيها وأن يبين أنها غير لازمة لنصوص الكتاب والسنة ؛ لأن الكتاب والسنة حق ومعانيهما حق والحق لا يمكن أن يلزم منه باطل أبدًا .

● **فإن قال قائل** : إذا فسرتم استواء الله على عرشه بعلوه عليه أوهم ذلك أن يكون الله محتاجا إلى العرش لِيُقِلّه ؟

فالجواب : أن كل من عرف عظمة الله تَعَالىٰ وكمال قدرته وقوته وغناه فإنه لن يخطر بباله أن يكون الله محتاجًا إلى العرش لِيُقِلّه .

كيف والعرش وغيره من المخلوقات مُفْتَقِرٌ إلى الله ومضطر إليه لا قوام له إلا به ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ؟ .

● **فإن قيل** : هل يصح تفسير « استواء الله على عرشه » باستيلائه عليه كما فسّره به المعطلة فرارًا من هذه اللوازم .

فالجواب : أنه لا يصح وذلك لوجوه منها :

١ـ إن هذه اللوازم إن كانت حقًّا فإنها لا تمنع من تفسير « الاستواء » بمعناه الحقيقي ، وإن كانت باطلًا ؛ فإنه لا يمكن أن تكون من لوازم نصوص الكتاب والسنة ، ومن ظن أنها لازمة لها فهو ضال .

٢ ـ أن تفسيره بالاستيلاء يلزم عليه لوازم باطلة لا يمكن دفعها :

ـ كمخالفة إجماع السلف .

ـ وجواز أن يقال : إن الله مستو على الأرض ونحوها مما ينزه الله عنه وكون الله تَعَالىٰ غير مستول على العرش حين خلق السموات والأرض .

٣ـ أن تفسيره بالاستيلاء غير معروف في اللغة ، فهو كذب عليها والقرآن نزل بلغة العرب فلا يمكن أن نُفَسِّره بما لا يعرفونه في لغتهم .

٤ـ إن الذين فسروه بالاستيلاء كانوا مُقِرِّين بأن هذا معنى مجازي والمعنى المجازي لا يقبل إلا بعد تمام أربعة أمور :

الأول : الدليل الصحيح المقتضي لصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه .

الثاني : احتمال اللفظ للمعنى المجازي الذي ادَّعاه من حيث اللغة .

الثالث : احتمال اللفظ للمعنى المجازي الذي ادَّعاه في ذلك السياق المعين فإنه لا يلزم من احتمال اللفظ لمعنى من المعاني من حيث الجملة أن يكون محتملًا له في كل سياق ؛ لأن قرائن الألفاظ والأحوال قد تمنع بعض المعاني التي يحتملها اللفظ في الجملة .

الرابع : أن يبين الدليل على أن المراد من المعاني المجازية هو ما ادَّعاه ؛ لأنه يجوز أن يكون المراد غيره فلابد من دليل على التَّعْيين والله أعلم .

○ ○ ○ ○

فصل

والعرش في اللغة : سرير الملك .

قال الله تَعَالىٰ عن يوسف : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف : ١٠٠]

وقال عن ملكة سبأ : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل : ٢٣] .

وأما عرش الرحمن الذي استوىٰ عليه فهو عرش عظيم محيط بالمخلوقات وهو أعلاها وأكبرها كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما السَّمَـٰوات السَّبْع وَالأَرْضُون السَّبْع عند الكُرْسي إِلَّا كَحَلَقة مُلْقَاة فِي أَرْض فلاة ، وَإِنَّ فَضْل العَرْش عَلَىٰ الكُرْسي كَفَضل الفلاة عَلَىٰ تِلك الحَلَقة »[١] .

قال المؤلف رحمه الله في « الرسالة العرشية » : « والحديث له طرق وقد رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهم » إهـ[٢] .

والكرسي في اللغة : السَّرير وما يَقْعُد عليه .

أما الكرسي الذي أضافه الله إلى نفسه فهو موضع قدميه تَعَالىٰ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل » رواه الحاكم في « المستدرك » وقال : إنه على شرط الشيخين وقد روي مرفوعًا والصواب أنه موقوف[٣] .

---

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : أخرجه محمد بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٥٨) وابن جرير في « تفسيره » (٣ / ٧ ، ٨) والبيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٥١١) من طرق يعضد بعضها بعضًا وبها يصح الحديث كما قال الألباني في « الصحيحة » رقم (١٠٩) .

(٢) « الرسالة العرشية » ص (١٣) .

(٣) **صحيح موقوفًا** : أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٦١) وعبد الله =

وهذا المعنى الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في الكرسي هو المشهور بين أهل السنة ، وهو المحفوظ عنه

وما روي عنه : « أنه العلم » فغير محفوظ .

وكذلك ما رُوِي عن الحسن : « أنه العرش » ضعيف لا يصح عنه ؛ قاله ابن كثير رحمه الله تَعَالى[1] .

○ ○ ○ ○

= ابن أحمد في السنة (٤٠٧) وابن خزيمة في التوحيد ص (١٠٧) .

والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٢) من طريق سفيان عن عمار الدّهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا . وإسناده حسن ؛ فعمار الدّهني : صدوق كما في التقريب (٤٠٨) .

وفي الباب عن أبي موسى الأشعري : رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة (٦٠) والذهبي في العلو (١٢٤ - مختصر) وإسناده صحيح موقوف كما قال الألباني في مختصره للعلو .

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٣٠٩) .

الباب الحادي عشر

في المعـية

أثبت الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أنه مع خلقه .

● **فمن أدلة الكتاب :**

قوله تَعَالىٰ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُم ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ وَإِنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١٩] .

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾ [طه : ٤٦] .

● **ومن أدلة السنة :**

قوله ﷺ : « أَفْضَلُ الإِيمَان أَنْ تَعْلَم أَنَّ الله مَعَك حَيْثُمَا كُنْتَ »[1] .

وقوله ﷺ لصاحبه أبي بكر وهما في الغار : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

● **وقد أجمع على ذلك** : سلف الأمة وأئمتها .

والمعية في اللغة : مطلق المقارنة والمصاحبة لكن مقتضاها ولازمها يختلف

---

(١) **حَدِيثٌ ضَعِيفٌ** : أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦ / ١٢٤) والبيهقي في « الأربعون الصُّغرىٰ » رقم (٢٤) من طريق نعيم بن حماد ثنا عثمان بن كثير بن دينار عن محمد بن مهاجر عن عروة عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ فذكره .. وقال أبو نعيم : « غريب من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر » إهـ . وفي إسناده نعيم بن حماد صدوق يخطئ كثيرًا . والحديث عزاه الهيثمي في المجمع (١ / ٦٠) للطبراني في « الأوسط » و « الكبير » ثم قال : « تفرد به عثمان بن كثير و لم أر من ذَكَرَهُ بثقةٍ ولا جرح » إهـ . وعزاه السيوطي في « الجامع الصغير » (١ / ٤٩) للطبراني وأبو نعيم أيضًا ، وضعفه . وكذا ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٠٠) وأورده ابن رجب في « نور الاقتباس » (٥٤) وعزاه للطبراني .

باختلاف الإضافة وقرائن السياق والأحوال .

ـ فتارة تقتضي اختلاطًا كما يقال : جعلت الماء مع اللبن .

ـ وتارة تقتضي تهديدًا وإنذارًا كما يقول المؤدب للجاني : اذهب فأنا معك .

ـ وتارة تقتضي نصرًا وتأييدًا كمن يقول لمن يستغيث به : أنا معك أنا معك .. إلى غير ذلك من اللوازم والمقتضيات المختلفة باختلاف الإضافة والقرائن والأحوال .

ومثل هذا اللفظ الذي يتفق في أصل معناه ويختلف مُقْتَضَاه وحكمه باختلاف الإضافة والقرائن يسميه بعض الناس مُشَكِّكًا لتشكيك المستمع هل هو من قبيل المشترك الذي اتحد لفظه واختلف معناه نظرًا لاختلاف مقتضاه وحكمه ، أو هو من قبيل المتواطئ الذي اتَّحَد لفظه ومعناه نظرًا لأصل المعنى ؟

والتحقيق : أنه نوع من المتواطئ ؛ لأن واضع اللغة وضع هذا اللفظ بإزاء القدر المشترك ، واختلاف حكمه ومقتضاه إنما هو بحسب الإضافات والقرائن لا بأصل الوضع لكن لما كانت نوعا خاصّاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ .

إذا تبين ذلك : فقد اتضح أن لفظ المعية المضاف إلى الله مستعمل في حقيقته لا في مجازه ، غير أن معية الله لخلقه معية تليق به فليس كمعية المخلوق للمخلوق بل هي أعلى وأكمل ولا يَلْحَقُها من اللوازم والخصائص ما يلحق معية المخلوق للمخلوق .

هذا وقد فسّر بعض السلف معية الله لخلقه بعلمه بهم وهذا تفسير للمعية

ببعض لوازمها وغرضهم به الرد على « حلولية الجهمية » الذين قالوا : إن الله بذاته في كل مكان واستدلوا بنصوص المعية فبين هؤلاء السلف : أنه لا يراد من المعية كون الله معنا بذاته فإن هذا مُحَال عقلًا وشرعًا ؛ لأنه ينافي ما وجب من علوه ويقتضي أن تحيط به مخلوقاته وهو محال .

□ **أقسام معية الله لخلقه :**

تنقسم معية الله لخلقه إلى قسمين : عامة ، وخاصة :

● **فالعامة** : هي التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن وكافر ، وبَرّ وفاجر في العلم والقدرة والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية

وهذه المعية تُوجِب لمن آمن بها كمال المراقبة لله عز وجل ولذلك قال النبي ﷺ : « أَفْضَلُ الإِيمَان أَنْ تَعْلَم أَنَّ الله مَعَك حَيْثُمَا كُنْتَ »[(١)] .

ومن أمثلة هذا القسم :

قوله تَعَالىٰ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُم ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] .

● **وأما الخاصة** : فهي التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم .

وهذه المعية توجب لمن آمن بها : كمال الثبات والقوة .

ومن أمثلتها :

* قوله تَعَالىٰ : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١٩] .

---

(١) حديث ضعيف : تقدم تخريجه ص (١٣٧) .

﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا والَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] .

* وقوله عن نبيه ﷺ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

● **فإن قيل** : هل المعية من صفات الله الذاتية أو من صفاته الفعلية ؟

فالجواب : أن المعية العامة : من الصفات الذاتية ؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله تَعَالىٰ أزلا وأبدًا .

وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية ؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها توجد بوجودها وتنتفي بانتفائها .

○ ○ ○ ○

الباب الثاني عشر

في الجمع بين نصوص علو الله بذاته ومعيته

قبل أن نذكر الجمع بينهما نحب أن نقدم قاعدة نافعة أشار إليها المؤلف رحمه الله في كتاب « العقل والنقل » ص (٤٣ - ٤٤) ج (١) وخلاصتها :

أنه إذا قيل بالتعارض بين دليلين ، فإمَّا أن يكونا قطعيين أو ظنيين أو أحدهما قطعيا والآخر ظنيا فهذه ثلاثة أقسام :

الأول : القطعيان وهما ما يقطع العقل بثبوت مدلولهما ، فالتعارض بينهما محال ؛ لأن القول بجواز تعارضهما يستلزم إمَّا وجوب ارتفاع أحدهما وهو محال لأن القطعي واجب الثبوت وإمَّا ثبوت كل منهما مع التعارض وهو محال أيضا لأنه جمع بين النقيضين .

فإن ظن التعارض بينهما فإمَّا أن لا يكونا قطعيين وإمَّا أن لا يكون بينهما تعارض بحيث يحمل أحدهما على وجه والثاني على وجه آخر ولا يرد على ذلك ما يثبت نسخه من نصوص الكتاب والسنة القطعية ؛ لأن الدليل المنسوخ غير قائم فلا معارض للناسخ .

الثاني : أن يكونا ظنيين إمَّا من حيث الدلالة وإمَّا من حيث الثبوت فيطلب الترجيح بينهما ثم يقدم الراجح .

الثالث : أن يكون أحدهما قطعيا والآخر ظنيا فيقدم القطعي باتفاق العقلاء لأن اليقين لا يدفع بالظن .

إذ تبين هذا فنقول : لا ريب أن النصوص قد جاءت بإثبات علو الله بذاته فوق خلقه وأنه معهم ، وكل منهما قطعي الثبوت والدلالة وقد جمع

الله بينهما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

ففي هذه الآية أثبت الله تَعَالىٰ استواءه على العرش الذي هو أعلى المخلوقات وأثبت أنه معنا وليس بينهما تعارض فإن الجمع بينهما ممكن وبيان إمكانه من وجوه :

الأول : أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما مُحَالًا ؛ لأن النصوص لا تدل على مُحَال ومن ظن دلالتها عليه فقد أخطأ فليعد النظر مرة بعد أخرى مستعينًا بالله سائلًا منه الهداية والتوفيق باذلًا جهده في الوصول إلى معرفة الحق .

فإن تبين له الحق فليحمد الله على ذلك وإلا فليكل الأمر إلى عالمه وليقل ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] .

الثاني : أنه لا مُنَافَاة بين معنى العلو والمعية فإنَّ المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان كما تقدم فقد يكون الشيء عاليًا بذاته وتضاف إليه المعية كما يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا . مع أن القمر في السماء ، ولا يُعَدُّ ذلك تناقضًا لا في اللفظ ولا في المعنى ، فإن المخاطب يعرف معنى المعية هنا وأنه لا يمكن أن يكون مقتضاها أن القمر في الأرض فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى .

الثالث : أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمعية تناقضًا وتعارضًا في حق

المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق ؛ لأن الله تَعَالىٰ ليس كمثله شيء في جميع صفاته فلا تُقَاس معيته بذاته ؛ ولأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته بل هو بكل شيء محيط .

وبنحو هذه الوجوه يمكن الجمع بين ما ثبت من علو الله بذاته وكونه قِبَل وَجْه المُصَلِّي ، فيقال الجمع بينهما من وجوه :

الأول : أن النصوص جمعت بينهما والنصوص لا تأتي بالمحال .

الثاني : أنه لا منافاة بين معنى العلو والمقابلة فقد يكون الشيء عاليًا وهو مقابل ؛ لأن المقابلة لا تستلزم المحاذاة ، ألا ترى أن الرجل ينظر إلى الشمس حال بزوغها فيقول : إنها قبل وجهي ، مع أنها في السماء ولا يُعَدُّ ذلك تناقضًا في اللفظ ولا في المعنى فإذا جاز هذا في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى .

الثالث : أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمقابلة تناقضًا وتعارضًا في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق ؛ لأن الله تَعَالىٰ ليس كمثله شيء في جميع صفاته فلا يقتضي كونه قِبَل وَجْه المُصَلِّي أن يكون في المكان أو الحائط الذي يُصَلِّي إليه لوجوب علوه بذاته ؛ ولأنه لا يحيط به شيء من المخلوقات بل هو بكل شيء محيط .

○ ○ ○ ○

الباب الثالث عشر

في نزول الله إلى السماء الدنيا

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يَنْزِلُ رَبُّنا إِلى السَّمَاءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُث اللَّيل الآخِر فَيَقُول : مَن يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ »(١) .

وقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ نحو ثمان وعشرين نَفْسًا من الصحابة رضي الله عنهم واتفق أهل السُّنَّة على تَلَقِّي ذلك بالقَبُول .

ونزوله تبارك وتَعَالىٰ إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته .

ولا يصح تحريف معناه إلى نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته فإن هذا باطل لوجوه :

الأول : أنه خلاف ظاهر الحديث ؛ لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلى الله والأصل أن الشيءَ إنما يضاف إلى من وقع منه أو قام به فإذا صُرِفَ إلى غيره كان ذلك تحريفًا يُخَالف الأصل .

الثاني : أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيءٌ محذوف والأصل عدم الحذف .

الثالث : أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت .

---

(١) البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) (١٦٨) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . وراجع لشرح الحديث والكلام عليه باستفاضة : « شرح حديث النزول » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

● **فإن قيل** : المراد نزول أمر خاص ورحمة خاصة وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت ؟

فالجواب : أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل ؛ فإن الحديث يدل على أن منتهي نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا ، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي ﷺ عنها ؟

الرابع : أن الحديث دلَّ على أن الذي ينزل يقول : « مَن يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ » ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوى الله تَعَالىٰ .

○ ○ ○ ○

فصل

في الجمع بين نصوص

علو الله تَعَالى بذاته ونزوله إلى السماء الدنيا

علو الله تَعَالىٰ من صفاته الذاتية التي لا يمكن أن ينفك عنها وهو لا يُنَافي ما جاءت به النصوص من نزوله إلى السماء الدنيا والجمع بينهما من وجهين :

الأول : أن النصوص جمعت بينهما والنصوص لا تأتي بالمحال كما تقدم .

الثاني : أن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته فليس نزوله كنزول المخلوقين حتى يقال إنه يُنَافي عُلُوّه ويناقضه والله أعلم .

○ ○ ○ ○

الباب الرابع عشر

في إثبات الوجه لله تَعَالى

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله وجهًا حقيقيًا يليق به مَوْصُوفًا بالجلال والإكرام .

وقد دلَّ على ثبوته لله الكتاب والسنة :

● **فمن أدلة الكتاب** : قوله تَعَالىٰ ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧]

● **ومن أدلة السنة** : قول النبي ﷺ في الدعاء المأثور : « وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ وَالشَّوْقِ إِلَىٰ لِقَائِكَ »[(١)] .

فوجه الله تَعَالىٰ من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به .

● ولا يَصِحُّ تحريف معناه إلى الثواب لوجوه منها :

أولا : أنه خلاف ظاهر النص ، وما كان مخالفا لظاهر النص ، فإنه يحتاج إلى دليل ، ولا دليل على ذلك .

ثانيا : أن هذا الوجه وَرَدَ في النصوص مُضَافًا إلى الله تعالى :

ـ إِمَّا أن يكون شيئا قائما بنفسه .

ـ وإِمَّا أن يكون غير قائم بنفسه .

* فإن كان قائما بنفسه : فهو مخلوق وليس من صفاته كـ « بيت الله » و « ناقة الله » وإنما أضيف إليه إِمَّا للتشريف وإِمَّا من باب إضافة المملوك

(١) **حَدِيثٌ حَسَنٌ** : جزء من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه أخرجه أحمد (٥ / ١٩١) وصححه الألباني في « صحيح الترغيب » (٦٦٠) .

* وإن كان غير قائم بنفسه : فهو من صفات الله وليس بمخلوق كعلم الله وقدرته وعزته وكلامه ويده وعينه ونحو ذلك والوجه بلا ريب من هذا النوع فإضافته إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف .

ثالثا : إن الثواب مخلوق بائن عن الله تَعَالىٰ والوجه صفة من صفات الله غير مخلوق ولا بائن فكيف يفسر هذا بهذا ؟ .

رابعًا : إن ذلك الوجه وصف في النصوص بالجلال والإكرام وبأن له نورًا يستعاذ به وسبحات تحرق ما انتهي إليه بصر الله من خلقه وكل هذه الأوصاف تمنع أن يكون المراد به الثواب . والله أعلم .

○ ○ ○ ○

الباب الخامس عشر

في يدي الله عز وجل

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله تَعَالىٰ يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم . وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به .

وقد دلَّ على ثبوتهما الكتاب والسنة .

● **فمن أدلة الكتاب :**

قوله تَعَالىٰ ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

● **ومن أدلة السنة :**

قوله ﷺ « يَدُ الله مَلأَىٰ سَحَّاءُ الليل والنهار أَرَأَيْتم مَا أَنفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمٰوٰات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه »(١) .

● **وقد أجمع أهل السنة** : على أنهما يدان حقيقيتان لا تشبهان أيدي المخلوقين .

ولا يصح تحريف معناهما إلى القوة أو النعمة أو نحو ذلك لوجوه منها :

أولا : إنه صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل .

ثانيا : إنه معنى تأباه اللغه في مثل السياق الذي جاءت به مضافة إلى الله

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣) (٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه سحّاء : بمهملتين مثقلًا ممدودًا : أي دائمة الصَّب . فتح الباري (١٣ / ٣٩٥) . ولفظ مسلم : « يمين الله » بدل « يد الله » .

* **فائدة** : قال الحافظ في الفتح (١٣ / ٣٩٥) : « ويتعقب بها على من فَسَّر اليد هنا بالنعمة ، وأبعد منه من فسَّرها بالخزائن وقال أطلق اليد على الخزائن لتصرفها فيها » إهـ .

قلت : وفي هذا دلالة على رد الحافظ على المؤولة !! .

تَعَالىٰ فإن الله قال ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] ، ولا يصح أن يكون المعنى لما خلقت بنعمتي أو قوتي .

ثالثًا : إنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية ولم يرد في الكتاب والسنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة والقوة إلى الله بصيغة التثنية فكيف يفسر هذا بهذا ؟ .

رابعًا : أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يقال : إن الله خلق إبليس بيده ونحو ذلك وهذا ممتنع ، ولو كان جائزًا لاحتج به إبليس على ربه حين قال له ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

خامسًا : أن اليد التي أضافها الله إلى نفسه تصرفت تصرفًا يمنع أن يكون المراد بها النعمة أو القوة فجاءت بلفظ اليد والكف وجاء إثبات الأصابع لله تَعَالىٰ والقبض والهز كقوله ﷺ : « يَقْبِضُ الله سَمَواته بِيَدِهِ وَالأَرض بِاليدِ الأُخْرَىٰ ثُمَّ يهزهن ويقول : أنا الملك »[١] .

وهذه التصرفات تمنع أن يكون المراد بها النعمة أو القوة .

○ ○ ○ ○

(١) رواه البخاري (٤٨١٢) (٧٣٨٢) ومسلم (٢٧٨٧) (٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الباب السادس عشر

في عيني الله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله عينين اثنتين ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به . وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة .

● **فمن أدلة الكتاب** : قوله تعالىٰ : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] .

● **ومن أدلة السنة** : قول النبي ﷺ « إنَّ رَبَّكُم لَيْسَ بِأَعْور »[١] .

« يَنْظُر إلَيْكُم أَزَلِّين قَنِطِين » [٢] ، « حِجَابُه النُّور لو كَشَفَه لأَحْرَقَت سبُحَات وجهه ما انتهىٰ إليه بَصَرُه من خَلْقِه » [٣] .

فهما عينان حقيقيتان لاتشبهان أعين المخلوقين .

ولا يصح تحريف معناهما إلى العلم والرؤية لوجوه منها :

أولا : إنه صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل .

ثانيا : إن في النصو ما يمنع ذلك منث قوله ﷺ :

« يَنْظُرُ إلَيْكُم » « لأَحْرَقَت سبُحَات وجهه ما انتهىٰ إليه بَصَرُه من خَلْقِه » « وَإنَّ رَبَّكُم لَيْسَ بِأَعْوَر » .

---

(١) رواه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) (١٠١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) إسنادُه ضَعيف : وهو جزء من حديث رواه أحمد (٤ / ١١) وابن ماجة (١٨١) وابن أبي عاصم في « السنة » (٥٥٤) والطيالسي (١٠٩٢) من حديث أبي رزين ، وفي إسناده ضعف كما قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١ / ٦٨) وضعَّفه الألباني في « تخريج السنة » لابن أبي عاصم (١ / ٢٤٤) .

* **أَزلين قنطين** : الأَزِلُ : الواقع في الشدة . قنطين : جمع قانط ، والقانط هو اليائس من الفرج وزوال الشدة » وراجع : « النهاية » لابن الأثير (١ / ٤٦ ، ١١٣) .

(٣) رواه مسلم (١٧٩) (٢٩٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

الباب السابع عشر

في الوجوه التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين

وردت صفتا اليدين والعينين في النصوص مضافة إلى الله تَعَالىٰ على ثلاثة أوجه : الإفراد والتثنية والجمع .

* **فمن أمثلة الإفراد** : قوله تَعَالىٰ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١] ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] .

* **ومن أمثلة الجمع** : قوله تَعَالىٰ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [يس : ٧١] ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] .

* **ومن أمثلة التثنية** : قوله تَعَالىٰ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] وقول النبي ﷺ : « إِذَا قَامَ العَبْدُ فِي الصَّلاة قَامَ بَيْنَ عَيْنَي الرَّحْمن » هكذا هو في « مختصر الصواعق » عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولم يعزه[1] .

ولم ترد صفة العينين في القرآن بصورة التثنية .

هذه هي الوجوه الثلاثة التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين .

والجمع بين هذه الوجوه أن يقال :

ـ إن الإفراد لا ينافي التثنية ولا الجمع ؛ لأن المفرد المضاف يعم فيتناول كل ماثبت لله من يد أو عين واحدة كانت أو أكثر .

ـ وأما الجمع بين ماجاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع :

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين في « شرح العقيدة الواسطية » (١ / ٢٦٧ - بتحقيقنا) : « ضعيف لانقطاعه واعتمادنا في عقيدتنا على الحديث الصحيح » إهـ .

فإن قلنا : أقل الجمع اثنان فلا منافاة أصلا بين صيغتي التثنية والجمع لاتحاد مدلوليهما .

وإن قلنا : أقل الجمع ثلاثة وهو المشهور فالجمع بينهما أن يقال : أنه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر وإنما أريد بها ـ والله أعلم ـ التعظيم .

والمناسبة أعني مناسبة المضاف للمضاف إليه فإن المضاف إليه وهو « نا » يراد به هنا التعظيم قطعًا فناسب أن يؤتى بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه فإن الجمع أدل على التعظيم من الإفراد والتثنية وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالا على التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ .

o o o o

الباب الثامن عشر

في كلام الله سبحانه وتعالى

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله يتكلم وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له على الوجه اللائق به .

وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت كيف يشاء متى شاء فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه ، وصفة فعل باعتبار آحاده .

وقد دل على هذا القول الكتاب والسنة .

● **فمن أدلة الكتاب :**

* قوله تَعَالىٰ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]
* وقوله ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥]
* وقوله ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢]

ففي الآية الأولى : إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته وأن آحاده حادثة .

وفي الآية الثانية : دليل على أنه بحرف فإن مقول القول فيها حروف .

وفي الآية الثالثة : دليل على أنه بصوت إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت .

● **ومن أدلة السنة :**

قول النبي ﷺ : « يقول الله تَعَالىٰ : يَا آدم فَيَقُول لَبَّيكَ وَسَعْدَيكَ فَيُنادِي بِصَوتٍ : إن الله يأمركَ أَن تُخرِجَ مِن ذُرِّيَتِكَ بَعْثًا إِلى النَّار »[1] .

---

(١) البخاري (٦٥٣٠) (٦٥٢٩) ومسلم (٢٢٢) (٣٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وكلامه سبحانه هو اللفظ والمعنى جميعًا ليس هو اللفظ وحده أو المعنى وحده .

هذا هو قول أهل السنة والجماعة في كلام الله تَعَالىٰ ، أما أقوال غيرهم فإليك ملخصها من « مختصر الصواعق المرسلة »[1] :

١ـ قول « **الكرامية** » : وهو كقول أهل السنة إلا أنهم قالوا : إنه حادث بعد أن لم يكن فرارًا من إثبات حوادث لا أول لها .

٢ـ قول « **الكلابية** » : إنه معنى قائم بذاته لازم لها كلزوم الحياة والعلم فلا يتعلق بمشيئته والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته وهو أربعة معان أمر ونهي وخبر واستخبار .

٣ـ قول « **الأشعرية** » : وهو كقول الكلابية ، إلا أنهم يخالفونهم في شيئين :

أحدهما : في معاني الكلام فالكلابية يقولون : إنه أربعة معان والأشعرية يقولون : إنه معنى واحد فالخبر والاستخبار والأمر والنهي كل واحد منها هو عين الآخر وليست أنواعًا للكلام بل صفات له بل التوراة والإنجيل والقرآن كل واحد منها عين الآخر تختلف إلا بالعبارة .

الثاني : أن الكلابية قالوا : إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله وأما الأشعرية فقالوا : إنها عبارة عن كلام الله .

٤ ـ قول « **السالمية** » : أنه صفة قائمة بذاته لازمة لها كلزوم الحياة والعلم فلا يتعلق بمشيئته وهو حروف وأصوات متقارنة لا يسبق بعضها بعضا فالباء

---

(١) « مختصر الصواعق المرسلة » لابن الموصلي ص (٤٠٨ : ٤١٢) .

والسين والميم في البسملة مثلا كل حرف منها مقارن للآخر في آن واحد ومع ذلك لم تزل ولا تزال موجودة .

٥ ـ قول « **الجهمية والمعتزلة** » : إنه مخلوق من المخلوقات وليس من صفات الله .

ثم من الجهمية من صرح بنفي الكلام عن الله ومنهم من أقر به وقال : إنه مخلوق .

٦ ـ قول « **فلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو** » : أنه فيض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها فيوجب لها تصورات وتصديقات بحسب ماقبلته منه وهذه التصورات والتصديقات المتخيلة تقوى حتى تصور الشيء المعقول صورًا نورانية تخاطبها بكلام تسمعه الآذان .

٧ ـ قول « **الاتحادية** » : القائلين بوحدة الوجود إن كل كلام في الوجود كلام الله كما قال قائلهم :

وَكُــلُّ كَــلَامٍ فِي الوُجُودِ كَلَامه
سَــــــوَاءٌ عَلَيْنَا نَـثْرَه وَنِظَـامـه

وكل هذه الأقوال مُخالفة لما دل عليه الكتاب والسنة والعقل ومن رزقه الله علمًا وحكمة فهم ذلك .

ο ο ο ο

فصل

في أن القرآن كلام الله

مذهب أهل السنة والجماعة : أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، تكلم به حقيقة ، وألقاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد ﷺ . وقد دلَّ على هذا القول : الكتاب والسنة .

● **فمن أدلة الكتاب :**

* قوله تَعَالَىٰ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] يعني : القرآن .

* وقوله ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ [ص : ٢٩] .

* ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥] .

● **ومن أدلة السنة :**

* قوله ﷺ وهو يعرض نفسه على الناس في الموقف : « أَلا رَجُلٌ يَحْمِلُني إلى قَوْمِهِ لِأُبَلِّغ كَلَام رَبِّي فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

* وقوله ﷺ للبراء بن عازب : « إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَقُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ

---

(١) **حديث صحيح** : رواه أبو داود (٤٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجة (٢٠١) والنسائي في الكبرى كما في « تحفة الأشراف » (٢ / ١٧٥) وأحمد (٣ / ٣٢٢ ، ٣٣٩) من حديث جابر ، وإسناده صحيح . وقد صحَّحه الترمذي والحاكم (٢ / ٦١٢ ، ٦١٣) ووافقه الذهبي .

ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ »(١) .

* وقال عمرو بن دينار : « أدركتُ الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ومَا سِوَاهُ مخلوق إلا القرآن فإِنَّه كلام الله غير مَخْلُوق منه بَدَأَ وإليه يَعُود »(٢) إهـ .

ـ ومعنى قوله « **منه بدأ** » : أن الله تكلَّم به ابتداء وفيه رد على الجهمية القائلين بأنه خلقه في غيره .

ـ وأما قولهم « **وإليه يعود** » فيحتمل معنيين :

أحدهما : أنه تعود صفة الكلام بالقرآن إليه بمعنى : أن أحدًا لا يوصف بأنه تكلَّم به غير الله ؛ لأنه هو المتكلم به ، والكلام صفة للمتكلم .

الثاني : أنه يرفع إلى الله تَعَالَىٰ كما جاء في بعض الآثار : « أنه يُسْرَىٰ به من المَصَاحِف والصُّدور »(٣) . وذلك إنما يقع ـ والله أعلم ـ حين يُعْرِض الناس عن العمل بالقرآن إعراضًا كُلِّيًّا فيُرْفَع عنهم تكريمًا له والله المستعان .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠) ومسلم (٢٧١٤) (٦٤) من حديث أبي هريرة .

(٢) **أثرٌ صَحِيحٌ** : أخرجه الدارمي في « الرّد على الجهمية » (٣٤٤) و « النقض على المريسي » ص (١١٦) والبيهقي في « السنن » (١٠ / ٢٠٥) بإسنادٍ صَحيح .

(٣) وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ كما في حديث حذيفة مرفوعًا : « ... وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية .. » الحديثَ .

رواه ابن ماجة (٤٠٤٩) والحاكم (٤ / ٤٧٣) وقال : « صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبي ، وقال الألباني : في « الصحيحة » (٨٧) : « وهو كما قالا » .

وكذا صحَّ موقوفًا من حديث أبي هريرة وابن مسعود . وراجع « العقيدة السلفية في كلام رب البرية » لعبد الله بن يوسف ص (١٧٢ ، ١٧٤) .

فصل

في اللفظ والملفوظ

الكلام في هذا الفصل يتعلق بالقرآن ؛ فإنه قد سبق أن القرآن كلام الله غير مخلوق لكن اللفظ بالقرآن هل يصح أن نقول : أنه مخلوق أو غير مخلوق أو يجب السكوت ؟

فالجواب : أن يقال : إن إطلاق القول في هذا نفيًا أو إثباتًا غير صحيح . وأما عند التفصيل فيقال :

- إن أُرِيدَ باللفظ : « التلفظ » الذي هو فعل العبد ، فهو مخلوق ؛ لأن العبد وفعله مخلوقان .

- وإن أُرِيدَ باللفظ : « الملفوظ » به فهو كلام الله غير مخلوق ؛ لأن كلام الله من صفاته وصفاته غير مخلوقه .

ويشير إلى هذا التفصيل قول الإمَام أحمد رحمه الله : « مَن قَال لَفْظِي بِالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ يُرِيدُ به القُرْآن فَهُوَ جَهْمِيٌّ »[(١)] .

* فقوله : « **يريد به القرآن** » يدل على أنه : إن أراد به غير القرآن وهو التلفظ الذي هو فعل فليس بجهمي والله أعلم .

○ ○ ○ ○

(١) رواه عبد الله بن أحمد في « السنة » رقم (١٨٦) ، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص (٢٠٦) .

الباب التاسع عشر

في ظهور مقالة التعطيل واستمدادها

* شاعت مقالة التعطيل بعد القرون المُفَضَّلة : الصحابة والتابعين وتابعيهم وإن كان أصلها قد نبغ في أَوَاخر عصر التابعين .

* وأول من تكلم بالتعطيل « **الجعد بن درهم** » فقال : « إنَّ الله لم يَتَّخِذ إبراهيم خليلًا ولم يُكَلِّم موسى تكليمًا » .

فقتله خالد بن عبد الله القسري الذي كان واليًا على العراق لهشام بن عبد الملك خرج به إلى مُصَلَّىٰ العيد بوثاقه ثم خطب الناس وقال : « أيها الناس ضَحُّوا تَقَبَّلَ الله ضَحَايَاكُم فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يُكَلِّم موسى تكليمًا ثم نزل وذبحه »[1] .

وذلك في عيد الأضحى سنة ١١٩ هـ .

* وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله في « النونية »[2] :

ولِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِـ « جَـعْدٍ » « الـ
قَـسْـرِيّ » يـوم ذَبَـائِـح الـقـران
إِذْ قَالَ : « إبراهيم » ليس خَلِيله
كلا ولا « موسى » الكليم الدَّانِي

(١) القصة أخرجها البخاري في « خلق أفعال العباد » (٦٩) والدارمي في « الرد على الجهمية » ص (٧ ، ١١٣ ، ١١٤) والذهبي في العلو (١٣٣ ، ١٣٤ - مختصر) وقواها الألباني لطرقها .

* فائدة : خالد بن عبد الله القسري هذا قال عنه الذهبي في « الميزان » (١ / ٦٣٣) : صدوق لكنه ناصبي بغيض ظلوم . قال ابن معين : رجل سوء يقع في علي » إهـ .

(٢) القصيدة النونية (١ / ٢٩ - بشرح هراس) .

شَكَرَ الضَّحِيَّة كُلُّ صَاحِب سُنَّة
لله دَرُّكَ مِـن أَخِـي قُـرْبَانِ

ثم أخذها عن « الجعد » رجل يقال له : « **الجهم بن صفوان** » وهو الذي ينسب إليه مذهب « الجهمية المعطلة » ؛ لأنه نشره ، فقتله « سالم بن أحوز » صاحب شرطة « نصر بن سيار » وذلك في مرو سنة ١٢٨ هـ .

* وفي حدود المئة الثانية : عربت الكتب اليونانية والرومانية فازداد الأمر بلاءً وشدة .

* ثم في حدود المئة الثالثة : انتشرت مقالة « الجهمية » بسبب « **بشر بن غياث المريسي** » وطبقته الذين أجمع الأئمة على ذمهم وأكثرهم كَفَّرُوهم أو ضلّلوهم .

وصنَّفَ عثمان بن سعيد الدارمي كتابا رد به على المريسي سمَّاه : « **نقض عثمان بن سعيد على الكافر العنيد فيما افترى على الله من التوحيد** » من طَالَعَ هذا الكتاب بِعِلْمٍ وعَدْلٍ تَبَيَّنَ له ضعف حجة هؤلاء المعطلة بل بطلانها وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي والغزالي وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بشر .

○ وأما استمداد مقالة التعطيل : فكان من اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة ؛ فإن « الجعد بن درهم » أخذ مقالته على ما قيل من « أبان بن سمعان » عن طالوت عن « لبيد بن الأعصم » اليهودي الذي سحر النبي ﷺ .

ثم إن « الجعد » كان ـ على ما قيل ـ من أرض حران وفيها خلق كثير من الصائبة والفلاسفة ولاريب أن للبيئة تأثيرًا قويًا في عقيدة الإنسان

وأخلاقه .

وكان مذهب النُّفَاة من هؤلاء : أن الله ليس له صفات ثبوتية ؛ لأن ثبوت الصفات يقتضي ـ على زعمهم ـ أن الله مُشَابِه لخلقه وإنما يثبتون له صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما .

* فالسلبية : ما كان مدلولها عدم أمر لا يليق بالله عز وجل مثل قولهم : إن الله واحد ، بمعنى : أنه مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول ومسلوب عنه الشريك .

* والإضافية : هي التي لا يوصف الله بها على أنها صفة ثابتة له ولكن يوصف بها باعتبار إضافتها إلى الغير كقولهم عن الله تَعَالىٰ : أنه مبدأ وعلة باعتبار أن الأشياء صدرت منه لا باعتبار صفة ثابتة له هي البداء والعلية .

* والمركبة منها هي : التي تكون سلبية باعتبار ، وإضافية باعتبار كقولهم عن الله تَعَالىٰ : أنه أول فهي سلبية باعتبار أنه مسلوب عنه الحدوث ، إضافية باعتبار أن الأشياء بعده .

فإذا كان هذا هو ماتستمد منه طريقة النفاة ، فكيف تطيب نفس مؤمن أو عاقل أن يأخذ به ويترك سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؟

○ ○ ○ ○

الباب العشرون

في طريقة النفاة فيما يجب إثباته أو نفيه من صفات الله

اتفق النُّفَاة عى أن يثبتوا لله من الصفات ما اقتضت عقولهم إثباته وأن ينفوا عنه ما اقتضت عقولهم نفيه ، سواء وافق الكتاب والسنة أم خالفهما فطريق إثبات الصفات لله أو نفيها عنه عندهم هو العقل .

ثم اختلفوا فيما لا يقتضي العقل إثباته أو نفيه فأكثرهم نفوه وخرجوا ماجاء منه على المجاز وبعضهم توقف فيه وفوض علمه إلى الله مع نفي دلالته على شئ من الصفات .

وهم يزعمون أنهم وفقوا بهذه الطريقة بين الأدلة العقلية والنقلية ولكنهم كذبوا في ذلك ؛ لأن الأدلة العقلية والنقلية متفقه على إثبات صفات الكمال لله وكل ماجاء في الكتاب والسنة من صفات الله فإنه لايخالف العقل وإن كان العقل يعجز عن إدراك التفصيل في ذلك .

وقد شابه هؤلاء النفاة في طريقتهم طريقة من قال الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنَ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالا بعيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَة بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِالله إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٠ ـ ٦٢] .

○ ووجه مشابهتهم لهم من وجوه :

الأول : أن كل واحد من الفريقين يزعم أنه مؤمن بما أنزل على النبي ﷺ مع أنهم لا يقبلون كل ماجاء به .

الثاني : أن هؤلاء النفاة إذا دعوا إلى ماجاء به الكتاب والسنة من إثبات صفات الكمال لله أعرضوا وامتنعوا كما أن أولئك المنافقين إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صَدُّوا وأعرضوا .

الثالث : أن هؤلاء النفاة لهم طواغيت يقلدونهم ويقدمونهم على ماجاءت به الرسل ويريدون أن يكون التحاكم عند النزاع إليهم لا إلى الكتاب والسنة كما أن أولئك المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به .

الرابع : أن هؤلاء النفاة زعموا أنهم أرادوا بطريقتهم هذه عملًا حسنًا وتوفيقا بين العقل والسمع كما أن أولئك المنافقين يحلفون أنهم ، ما أرادوا إلا إحسانًا وتوفيقًا .

وكل مبطل يتستر في باطله ويتظاهر بالحق فإنه يأتي بالدعاوى الباطلة التي يروج بها باطله ولكن من وهبه الله علمًا وفهمًا وحكمة وحسن قصد فإنه لا يلتبس عليه الباطل ولا تروج عليه الدَّعَاوي الكاذبة والله المستعان .

o o o o

فصل

فيما يلزم على طريقة النفاة من اللوازم الباطلة

يلزم على طريقة النفاة لوازم باطلة منها :

أولا : أن الكتاب والسنة صَرَّحَا بالكفر والدعوة إليه ؛ لأنهما مملوءان من إثبات صفات الله التي زعم هؤلاء النفاة أن إثباتهما تشبيه وكفر .

ثانيا : أن الكتاب والسنة لم يبينا الحق ؛ لأن الحق عند هؤلا هو نفي الصفات وليس في الكتاب ولا في السنة مايدل على نفي صفات الكمال عن الله لا نصًا ولا ظاهرًا .

وغاية المتحذلق من هؤلاء أن يستنتج ذلك من مثل قوله تَعَالَىٰ : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ [الإخلاص : ٤]

ومن المعلوم لكل عاقل أن المقصود من أمثال هذه النصوص إثبات كمال الله تَعَالَىٰ وأنه لا شبيه له في صفاته ولا يمكن أن يراد بها بيان انتفاء الصفات عنه ، إذ لا ريب أن من دل الناس على انتفاء الصفات عن الله بمثل هذا الكلام فهو إِمَّا مُلْغِز في كلامه أو مُدَلِّس أو عاجز عن البيان ، وكل هذه الأمور ممتنعة في كلام الله وكلام رسوله ﷺ فإن كلامهما قد تضمن كمال البيان والإرادة فليس المقصود به إرادة ضلال الخلق والتعمية عليهم وليس فيه نقص في البيان والفصاحة .

ثالثا : أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كانوا قائلين بالباطل وكاتمين للحق أو جاهلين به ، فإنه قد تواتر النقل عنهم بإثبات صفات الكمال لله الذي زعم هؤلاء أنه باطل ولم

يتكلموا مرة واحدة بنفي الصفات الذي زعم هؤلاء أنه الحق وهذا اللازم ممتنع على خير القرون وأفضل الأمة .

رابعا : أنه اذا انتفت صفة الكمال عن الله لزم أن يكون متصفًا بصفات النقص فإن كل موجود في الخارج لابد له من صفة فإذا انتفت عنه صفات الكمال لزم أن يكون متصفًا بصفات النقص وبهذا ينعكس الأمر على هؤلاء النفاة ويقعون في شر مما فروا منه .

o o o o

فصل

فيما يعتمد عليه النفاة من الشبهات

يعتمد نفاة الصفات على شبهات باطلة يعرف بطلانها كل من رزقه الله علما صحيحا وفهما سليما .

● **وغالب ما يعتمدون عليه ما يأتي :**

١ ـ دعوى كاذبة مثل أن يدعي الإجماع على قوله أو أنه هو التحقيق أو أنه قول المحققين أو أن قول خصمه خلاف الإجماع ونحو ذلك .

٢ ـ شبهة مركبة من قياس فاسد مثل قولهم : إثبات الصفات لله يستلزم التشبيه لأن الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم والأجسام متماثلة .

٣ ـ تمسك بألفاظ مشتركة بين معان يصح نسبتها إلى الله تَعَالىٰ ومعان لا يصح نسبتها إليه مثل « الجسم » و « الحيز » و « الجهة » فهذه الألفاظ المجملة يتوصلون لإطلاق نفيها عن الله إلى نفي صفاته عنه .

* ثم هم يصوغون هذه الشبهات بعبارات مزخرفة طويلة غريبة يحسبها الجاهل بها حقا بما كسيته من زخارف القول فإذا حقق الأمر تَبَيَّنَ له أنها شبهات باطلة كما قيل :

حجج تهافت كالزجاج تخالها
حقًا وكل كاسر مكسور

● **والرد على هؤلاء من وجوه :**

الأول : نقض شبهاتهم وحججهم وأنه يلزمهم فيما أثبتوه نظير مافروا منه فيما نفوه .

الثاني : بيان تناقض أقوالهم واضطرابها حيث كان كل طائفة منهم تدعي أن العقل يوجب ما تدعي الأُخرى أنه يمنعه ونحو ذلك ، بل الواحد منهم ربما يقول قولا يدعي أن العقل يوجبه ثم ينقضه في محل آخر وتناقض الأقوال من أقوى الأدلة على فسادها .

الثالث : بيان مايلزم على نفيهم من اللوازم الباطلة ، فإن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

الرابع : أن النصوص الواردة في الصفات لا تحتمل التأويل ولئن احتمله بعضها فليس فيه مايمنع إرادة الظاهر فتعيَّن المصير إليه .

الخامس : أن عامة هذه الأمور من الصفات يعلم بالضرورة من دين الإسلام أن الرسول ﷺ جاء بها ، فتأويلها بمنزلة تأويل « القرامطة » و « الباطنية » للصلاة والصوم والحج ونحو ذلك .

السادس : أن العقل الصريح ـ أي السالم من الشبهات والشهوات ـ لا يحيل ماجاءت به النصوص من صفات الله ، بل إنه يدل على ثبوت صفات الكمال لله في الجملة وإن كان في النصوص من التفاصيل في هذا الباب ماتعجز العقول عن إدراكه والإحاطة به .

وقد اعترف الفحول من هؤلاء أن العقل لا يمكنه الوصول إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية .

وعلى هذا : فالواجب تلقي ذلك من النبوات على ماهو عليه من غير تحريف والله أعلم .

○ ○ ○ ○

الباب الحادي والعشرون

في أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل قد جمع بين التعطيل والتمثيل

* **المعطل** : هو من نفي شيئًا من أسماء الله أو صفاته كـ « الجهمية » و « المعتزلة » و « الأشعرية » ونحوهم .

* **والممثل** : هو من أثبت الصفات لله مُمَثِّلًا له بخلقه كمتقدمي « الرافضة » ونحوهم .

وحقيقة الأمر أن كل معطل ممثل ، وكل ممثل معطل .

* **أما المعطل** : فتعطيله ظاهر . وأما تمثيله فوجهه : أنه إنما عطل ؛ لأنه اعتقد أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فأخذ ينفي الصفات فرارًا من ذلك فمثل أولا وعطل ثانيًا .

* **وأما الممثل** : فتمثيله ظاهر . وأما تعطيله فمن وجوه ثلاثة :

أحدها : أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة حيث صرفه عن مقتضى مايدل عليه ، فإن النص دال على إثبات صفة تليق بالله لا على مشابهة الله لخلقه .

الثاني : أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطَّل كل نص يدل على نفي مشابهته لخلقه مثل قوله تَعَالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] .

الثالث : أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطَّله عن كماله الواجب حيث شبه الرب الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص .

الباب الثاني والعشرون

في تحذير السلف عن علم الكلام

علم الكلام : هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به .

وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله لما يفضي إليه من الشبهات والشكوك :

ـ حتى قال الإمام أحمد : « لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا » .

ـ وقال الشافعي : « حُكْمِي فِي أَهْلِ الكَلام أَنْ يُضْرَبُوا بالجَرِيد والنّعَال ويُطَافُ بهم في العَشَائِر والقَبَائِل ويُقَال : هَذَا جَزَاء مَن تَرَك الكِتَاب والسُّنَّة وَأَقْبَلَ عَلَىٰ عِلْمِ الكَلَام » [(1)] إهـ .

وهم مستحقون لما قاله الإمام الشافعي من وجه ، ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم عن اتباع مذهبهم .

وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر ـ وقد استولت عليهم الحيرة واستحوذ عليهم الشيطان ـ فإننا نرحمهم ونرِقُّ لهم ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به .

فلنا فيهم نظران :

ـ نظر من جهة الشرع : نؤدبهم ونمنعهم به من نشر مذهبهم .

(١) راجع : الخطيب في « شرف أصحاب الحديث » ص (٧٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٩) ومناقب الشافعي للبيهقي (١ / ٤٦٢) وتوالي التأسيس (٦٤) .

* قال الحافظ الذهبي في « السير » (١٠ / ٢٩) بعد أن أورد آثارًا كثيرة عن الشافعي بهذا المعنى : « لعل هذا متواتر عن الإمام » إهـ .

ـ ونظر من جهة القدر : نرحمهم ونسأل الله لهم العافية ونحمد الله الذي عافانا من حالهم .

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في « علم الكلام » ولم يصلوا إلى غايته .

ووجه ذلك : أن من لم يدخل فيه فهو في عافية ، ومن وصل إلى غايته فقد تبين له فساده ورجع إلى الكتاب والسنة كما جرى لبعض كبارهم فيبقى الخطر على من خرج عن الصراط المستقيم ولم يتبين له حقيقة الأمر .

○ وقد نقل المؤلف رحمه الله في هذه الفتوى كثيرًا من كلام من تكلم في هذا الباب من المتكلمين قال : « وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام ، ولكن كثيرًا من الناس قد صار منتسبًا إلى بعض طوائف المتكلمين ومُحْسِنًا للظن بهم دون غيرهم ومُتَوَهِّمًا أنهم حققوا في هذا الباب مالم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ماتبعها حتى يؤتي بشيءٍ من كلامهم » .

○ ثم قال : « وليس كل من ذكرنا قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع مايقوله في هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به » إهـ .

فبَيَّنَ رحمه الله : أن الغرض من نقله بيان الحق من أي إنسان وإقامة الحجة على هؤلاء من كلام أئمتهم والله أعلم .

○ ○ ○ ○

الباب الثالث والعشرون

في أقسام المنحرفين عن الاستقامة

في باب الإيمان بالله واليوم الآخر

طريقة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على الصراط المستقيم علما وعملا يعرف ذلك من تتبعها بعلم وعدل فقد حققوا الإيمان بالله واليوم الآخر وأَقَرُّوا بأن ذلك حق على حقيقته وهم في عملهم مخلصون لله متبعون لشرعه فلا شرك ولا ابتداع ولا تحريف ولا تكذيب .

● **وأما المنحرفون عن طريقتهم** فهم ثلاث طوائف :

أهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل .

□ **فأما أهل التخييل** : فهم الفلاسفة والباطنية ، ومن سلك سبيلهم من المتكلمين وغيرهم .

وحقيقة مذهبهم : أن ماجاءت به الأنبياء مما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر أمثال وتخييلات لا حقيقة لها في الواقع وإنما المقصود بها انتفاع العامة وجمهور الناس ؛ لأن الناس إذا قيل لهم إن لكم ربًا عظيمًا قادرًا رحيمًا قاهرًا وأمامكم يومًا عظيمًا تبعثون فيه وتجازون بأعمالكم ونحو ذلك استقاموا على الطريقة المطلوبة منهم وإن كان هذا لا حقيقة له على زعم هؤلاء .

ثم إن هؤلاء على قسمين : غلاة ، وغير غلاة .

* **فأما الغلاة** : فيزعمون أن الأنبياء لا يعلمون حقائق هذه الأمور ، وأن من المتفلسفة الإلهية ومن يزعمونهم أولياء من يعلم هذه الحقائق ، فزعموا أن

من الفلاسفة من هو أعلم بالله واليوم الآخر من النبيين الذين هم أعلم الناس بذلك .

* **وأما غير الغلاة** : فيزعمون أن الأنبياء يعلمون حقائق هذه الأمور ولكنهم ذكروا للناس أمورًا تخييلية لا تطابق الحق لتقوم مصلحة الناس ، فزعموا أن مصلحة العباد لا تقوم إلا بهذه الطريقة التي تتضمن كذب الأنبياء في أعظم الأمور وأهمها .

فالطائفة الأولى : حكمت على الرسل بالجهل .

والطائفة الثانية : حكمت عليهم بالخيانة والكذب .

هذا هو قول أهل التخييل فيما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر .

أما في الأعمال : فمنهم : من يجعلها حقائق يؤمر بها كل أحد .

ومنهم : من يجعلها تخييلات ورموزًا يؤمر بها العامة دون الخاصة فيؤولون الصلاة بمعرفة أسرارهم والصيام بكتمانها والحج بالسفر إلى شيوخهم ونحو ذلك . وهؤلاء الملاحدة من الإسماعيلية والباطنية ونحوهم .

وفساد قول هؤلاء معلوم بضرورة الحس والعقل والشرع فإننا نشاهد من الآيات الدالة على وجود الله وكمال صفاته ما لا يمكن حصره .

وَفِي كُلِّ شيءٍ لَهُ آية　　تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

فإن هذه الحوادث المنتظمة لا يمكن أن تحدث إلا بمُدَبِّر حكيم قادر على كل شيء .

والإيمان باليوم الآخر : دلَّت عليه جميع الشرائع ، واقتضته حكمة الله البالغة ولا ينكره إلا مكابر أو مجنون وأهل التخييل لا يحتاجون في الرد عليهم إلى شيء كثير لأن نفور الناس عنهم معلوم ظاهر .

□ **وأما أهل التأويل** : فهم المتكلمون من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم .

وحقيقة مذهبهم : أن ماجاء به النبي ﷺ من نصوص الصفات لم يقصد به ظاهره ، وإنما المقصود به معان تخالفه يعلمها النبي ﷺ لكنه تركها للناس يستنتجونها بعقولهم ثم يحاولون صرف ظواهر النصوص إليها وغرضه بذلك امتحان عقولهم وكثرة الثواب بما يعانونه من محاولة صرف الكلام عن ظاهره وتنزيله على شواذ اللغة وغرائب الكلام .

ـ وهؤلاء هم أكثر الناس اضطرابًا وتناقضًا لأنهم ليس لهم قدم ثابت يمكن تأويله وما لا يمكن ولا في تعيين المعنى المراد .

ثم إن غالب مايزعمونه من المعانى يعلم من حال المتكلم وسياق كلامه أنه لم يرده في ذلك الخطاب المعين الذي أولوه .

ـ وهؤلاء كانوا يتظاهرون بنصر السنة ويتسترون بالتنزيه ولكن الله تَعَالىٰ هتك أستارهم برد شبهاتهم ودحض حججهم .

فلقد تصدى « شيخ الإسلام » وغيره للرد عليهم أكثر من غيرهم لأن الاغترار بغيرهم لما يتظاهرون به من نصر السنة .

○ ○ ○ ○

فصل

مذهب أهل التأويل في نصوص المعاد : الإيمان بها على حقيقتها من غير تأويل ، ولما كان مذهبهم في نصوص الصفات صرفها عن حقائقها إلى معاني مجازية تخالف ظاهرها استطال عليهم أهل التخييل فألزموهم القول بتأويل نصوص المعاد كما فعلوا في نصوص الصفات .

* فقال أهل التأويل لهم : نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ جاء بإثبات المعاد وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فلزم القول بثبوته إهـ .

وهذا جواب صحيح وحجة قاطعة تتضمن الدفاع عنهم في عدم تأويلهم نصوص المعاد وإلزامهم أهل التخييل أن يقولوا بإثبات المعاد وإجراء نصوصه على حقائقها لأنه إذا قام الدليل وانتفى المانع وجب ثبوت المدلول .

* وقد احتج أهل السنة على أهل التأويل بهذه الحجة نفسها ليقولوا بثبوت الصفات وإجراء نصوصها على حقيقتها .

* فقالوا لأهل التأويل : نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ جاء بإثبات الصفات لله وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فلزم القول بثبوتها . وهذا إلزام صحيح وحجة قائمة لا محيد لأهل التأويل عنها فإن من منع صرف الكلام عن حقيقته في نصوص المعاد يلزمه أن يمنعه في نصوص الصفات التي هي أعظم وأكثر إثباتا في الكتب الإلهية من إثبات المعاد وإن لم يفعل فقد تبين تناقضه وفساد عقله .

○ ○ ○ ○

فصل

□ **وأما أهل التجهيل** : فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف .

وحقيقة مذهبهم : أن ماجاء به النبي ﷺ من نصوص الصفات ألفاظ مجهولة لا يعرف معناها حتى النبي ﷺ يتكلم بأحاديث الصفات ولا يعرف معناها .

ثم هم مع ذلك يقولون ليس للعقل مدخل في باب الصفات فيلزم على قولهم أن لا يكون عند النبي ﷺ وأصحابه وأئمة السلف في هذا الباب علوم عقلية ولا سمعية وهذا من أبطل الأقوال .

* **وطريقتهم في نصوص الصفات** : إمرار لفظها مع تفويض معناها .

ومنهم من يتناقض فيقول : تجري على ظاهرها مع أن لها تأويلا يخالفه لا يعلمه إلا الله .

وهذا ظاهر التناقض فإنه إذا كان المقصود بها التأويل الذي يخالف الظاهر وهو لا يعلمه إلا الله فكيف يمكن إجراؤها على ظاهرها ؟

وقد قال الشيخ رحمه الله عن طريقة هؤلاء في كتاب « العقل والنقل » ص ١٢١ ج ١ : « فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد » إهـ .

* **والشبهة التي احتج بها أهل التجهيل** : هي وقف أكثر السلف على ﴿ إِلَّا اللهُ ﴾ من قوله تعالىٰ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] .

وقد بنوا شبهتهم على مقدمتين :

الأولى : أن آيات الصفات من المتشابهة .

الثانية : أن التأويل المذكور في الآية : هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر .

فتكون النتيجة : أن لآيات الصفات معنى يخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله .

● **والرد عليهم من وجوه :**

الأول : أن نسألهم : ماذا يريدون بالتشابه الذي أطلقوه على آيات الصفات أيريدون اشتباه المعنى وخفاءه أم يريدون اشتباه الحقيقة وخفاءها ؟

ـ فإن أرادوا المعنى الأول ـ وهو مرادهم ـ فليست آيات الصفات منه لأنها ظاهرة المعنى .

ـ وإن أرادوا المعنى الثاني : فآيات الصفات منه لأنه لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله تَعَالىٰ .

وبهذا عرف : أنه لا يصح إطلاق التشابه على آيات الصفات بل لا بد من التفصيل السابق .

الثاني : إن قولهم : « إن التأويل المذكور في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر » غير صحيح .

فإن هذا المعنى للتأويل اصطلاح حادث لم يعرفه العرب والصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم ، وإنما المعروف عندهم أن التأويل يراد به معنيان :

* **إمَّا التفسير** : ويكون التأويل على هذا معلومًا لأولي العلم .

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : « أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله » .

وعليه يحمل وقف كثير من السلف على قوله تَعَالىٰ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ من الآية السابقة .

* **وإمَّا حقيقة الشيء ومآله** : وعلى هذا يكون تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر غير معلوم لنا ؛ لأن ذلك هو الحقيقي والكيفية التي هو عليها وهو مجهول لنا .

كما قاله مالك وغيره في الاستواء وغيره .

وعليه يحمل وقف جمهور السلف على قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ من الآية السابقة .

الوجه الثالث : أن الله أنزل القرآن للتدبر وحثَّنا على تدبره كله ولم يستثن آيات الصفات ، والحث على تدبره يقتضي أنه يمكن الوصول إلى معناه وإلا لم يكن للحث على تدبره معنى ؛ لأن الحث على شيء لا يمكن الوصول إليه لغو من القول ينزه كلام الله وكلام رسوله ﷺ عنه .

وهذا ـ أعني الحث على تدبره كله من غير استثناء ـ يدل على أن لآيات الصفات معنى يمكن الوصول إليه بالتدبر .

وأقرب الناس إلى فهم ذلك المعنى : هو النبي ﷺ وأصحابه لأن القرآن نزل بلغتهم ؛ ولأنهم أسرع الناس إلى امتثال الحث على التدبر خصوصًا فيما هو أهم مقاصد الدين .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : « حدَّثَنا الذين كانوا يُقْرِءُونَنَا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنَّهم كانوا إذا تعلَّمُوا من النبي ﷺ عَشْر آيات لا يَتَجَاوَزُونَهَا حتى يَتَعَلَّموها ومَا فِيها من العلم والعَمَل » .

قال : « فَتَعلَّمنا القرآن والعِلْم والعَمَل جَمِيعًا »[1] .

فكيف يجوز مع هذا أن يكونوا جاهلين بمعاني نصوص الصفات التي هي أهم شيءٍ في الدين .

الرابع : إن قولهم يستلزم أن يكون الله قد أنزل في كتابه المبين ألفاظًا جوفاء لا يبين بها الحق ، وإنما هي بمنزلة الحروف الهجائية والأبجدية ، وهذا يُنَافي حكمة الله التي أنزل الله الكتاب وأرسل الرسول من أجلها .

○○○○

(٢) **أَثَرٌ صَحيحٌ** : رواه ابن جرير في تفسيره (١ / ٨٠ - شاكر) وقال الشيخ أحمد شاكر : « هذا إسناد صحيح متصل » .

وعنده : « فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا » بدون لفظ « العلم » .

تنبيه

عُلِمَ مما سبق أن معاني التأويل ثلاثة :

أحدها : **التفسير** ، وهو إيضاح المعنى وبيانه ، وهذا اصطلاح جمهور المفسرين ومنه قوله ﷺ لابن عباس : « اللَّهُمَّ فَقِّهه فِي الدِّين وَعَلِّمْهُ التَّأْويل »[1] ، وهذا معلوم عند العلماء في آيات الصفات وغيرها .

الثاني : **الحقيقة التي يؤول الشئ إليها** وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة .

كما قال تَعَالىٰ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف : ٥٣] .

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] فتأويل آيات الصفات بهذا المعنى هو الكنه والحقيقة التي هي عليها وهذا لا يعلمه إلا الله .

الثالث : **صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر** .

وهو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين وغيرهم .

وهذان نوعان : صحيح ، وفاسد :

* **فالصحيح** : ما دل الدليل عليه مثل تأويل قوله تَعَالىٰ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٥٩] إلى أن المعنى إذا أردت أن تقرأ .

* **والفاسد** : ما لا دليل عليه كتأويل استواء الله على عرشه باستيلائه ويده بقوته ونعمته ونحو ذلك .

---

(١) رواه البخاري (١٤٣) ومسلم (٣٤٧٧) (١٣٨) بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وليس عندهما « وعلِّمه التأويل » وإنما هي في رواية لأحمد وابن حبان والطبراني كما قال الحافظ في الفتح (١ / ١٧٠) .

فصل

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير تَعْرِفُه العرب من كلامها ، وتفسير لا يُعْذَرُ أحد بجهالته وتفسير يَعْلَمُه العلماء ، وتفسير لا يَعْلَمُه إلا الله ، فمن ادَّعَىٰ علمه فهو كاذب »[1] إهـ .

* **فالتفسير الذي تعرفه العرب من كلامها** : هو تفسير مفردات اللغة كمعرفة معنى : « القرء » و « النمارق » و « الكهف » ونحوها .

* **والتفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته** : وهو تفسير الآيات المكلف بها اعتقادا أو عملا كمعرفة : الله بأسمائه وصفاته ومعرفة اليوم الآخر والطهارة والصلاة والزكاة وغيرها .

* **التفسير الذي يعلمه العلماء** : هو ما يخفى على غيرهم مما يمكن الوصول إلى معرفته كمعرفة : أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه ونحو ذلك .

* **وأما التفسير الذي لا يعلمه إلا الله** : فهو حقائق ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر ، فإن هذه الأشياء نفهم معناها ، لكن لا ندرك حقيقة ما هي عليه في الواقع .

---

(١) رواه ابن جرير في « تفسيره » (١ / ٧١) من طريق أبي الزناد عن ابن عباس ، وفي إسناده انقطاع ، فأبو الزناد لم يثبت سماعه من ابن عباس ، وفيه مؤمل بن إسماعيل : صدوق سيئ الحفظ . ورواه ابن جرير أيضًا (١ / ٧٢ ـ شاكر) مرفوعًا ، وقال : « وفي إسناده نظر » إهـ . قال ابن كثير في تفسيره (١ / ٦) : « والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبي ؛ فإنه متروك الحديث .. » إهـ .

مثال ذلك : أننا نفهم معنى استواء الله على عرشه ولكننا لا ندرك كيفيته التي هي حقيقة ما هو عليه في الواقع .

وكذلك نفهم معنى : الفاكهة والعسل والماء واللبن وغيرها ، مما أخبر الله أنه في الجنة ولكن لا ندرك حقيقته في الواقع كما قال تَعَالىٰ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانوا يَعْمَلونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « لَيْسَ فِي الدنيا شيءٌ مما في الجنَّة إلا الأسماء »[١] .

وبهذا تبين : أن في القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله كحقائق أسمائه وصفاته وما أخبر الله به عن اليوم الآخر ، وأما معاني هذه الأشياء فإنها معلومة لنا وإلا لما كان للخطاب بها فائدة والله أعلم .

○ ○ ○ ○

(١) **أَثَرٌ حَسَنٌ** : رواه البيهقي في « البعث والنشور » (٣٣٢) بلفظ : « ليس في الجنة شيءٌ مما في الدنيا إلا الأسماء » وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤ / ٤٧٣) : « رواه البيهقي موقوفًا بإسناد جيد » إهـ .

الباب الرابع والعشرون

في انقسام أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها

المراد بأهل القبلة : من يصلي إلى القبلة ، وهم كل من ينتسب إلى الإسلام .

وقد انقسم أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها إلى ست طوائف :

- طائفتان قالوا : تجري على ظاهرها .
- وطائفتان قالوا : تجري على خلاف ظاهرها .
- وطائفتان واقفتان .

● **فالطائفتان الذين قالوا تجري على ظاهرها هم :**

١ـ **طائفة المشبهة** : الذين جعلوها من جنس صفات المخلوقين ومذهبهم باطل أنكره عليهم السلف .

٢ـ **طائفة السلف** : الذين أجروها على ظاهرها اللائق بالله عز وجل ومذهبهم هو الصواب المقطوع به لدلالة الكتاب والسنة والعقل عليه دلالة ظاهرة إِمَّا قطعية وإِمَّا ظنية ، كما تقدم دليل وجوبها وصحتها في البابين الثالث والرابع .

* **والفرق بين هاتين الطائفتين** : أن الأولى تقول بالتشبيه ، والثانية تنكره .

○ **فإن قال المشبه** : في علم الله ونزوله ويده مثلا : أنا لا أعقل من العلم والنزول واليد إلا مثل ما يكون للمخلوقين من ذلك ؟

فجوابه من وجوه :

الأول : أن العقل والسمع قد دل كل منهما على مباينة الخالق للمخلوق

في جميع صفاته ، فصفات الخالق تليق به ، وصفات المخلوق تليق به .

* فمن أدلة السمع على مباينة الخالق للمخلوق :

قوله تَعَالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

* ومن أدلة العقل أن يقال : كيف يكون الخالق الكامل من جميع الوجوه الذي الكمال من لوازم ذاته وهو معطي الكمال مشابها للمخلوق الناقص الذي النقص من لوازم ذاته وهو مفتقر إلى من يكمله .

الثاني : أن يقال له : ألست تعقل لله ذاتا لا تشبه ذات المخلوقين ؟

فسيقول : بلى .

فيقال له : فلتعقل إذن : أن لله صفات لا تشبه صفات المخلوقين ، فإن القول في الصفات كالقول في الذات ، ومن فرق بينهما فقد تناقض .

الثالث : أن يقال : نحن نشاهد من صفات المخلوقات صفات اتفقت في أسمائها وتباينت في كيفيتها فليست يد الإنسان كيد الحيوان الآخر ، فإذا جاز اختلاف الكيفية في صفات المخلوقات مع اتحادها في الاسم فاختلاف ذلك بين صفات الخالق والمخلوق من باب أولى ، بل التباين بين صفات الخالق والمخلوق واجب كما تقدم .

● **وأما الطائفتان الذين قالوا تجري على خلاف ظاهرها** ، وأنكروا أن يكون لله صفات ثبوتية أو أنكروا بعض الصفات أو أثبتوا الأحوال دون الصفات فهم :

١ـ **أهل التأويل من الجهمية** : وغيرهم الذين أولوا نصوص الصفات إلى معان عينوها كتأويل « اليد » بالنعمة ، و « الاستواء » بالاستيلاء ونحو ذلك .

٢ـ **أهل التجهيل المفوضة** : الذين قالوا : الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تَعَالىٰ .

وهذا القول متناقض ، فإن قولهم : نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له يناقض التفويض لأن حقيقة التفويض أن لا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات وهذا ظاهر .

* **والفرق بين هاتين الطائفتين** : أن الأولى أثبتوا لنصوص الصفات معنى لكنه خلاف ظاهرها ، وأما الثانية فيفوضون ذلك إلى الله من غير إثبات معنى مع قولهم : أنه لا يراد من تلك النصوص إثبات صفة لله عز وجل .

● **وأما الطائفتان الذين توقفوا فهم :**

١ـ **طائفة** جوزوا أن يكون المراد بنصوص الصفات إثبات صفة تليق بالله وأن لا يكون المراد ذلك وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم .

٢ـ **طائفة** أعرضوا بقلوبهم وألسنتهم عن هذا كله ولم يزيدوا على قراءة القرآن والحديث .

* **والفرق بين هذه الطائفة والتي قبلها** : أن الأولى تحكم بتجويز الأمرين : الإثبات وعدمه ، وأما الثانية : فلا تحكم بشيء أبدًا والله أعلم .

○ ○ ○ ○

الباب الخامس والعشرون

في ألقاب السوء التي وضعها المبتدعة على أهل السنة

من حكمة الله تَعَالىٰ أن جعل لكل نبي عَدُوًّا من المجرمين يصدون عن الحق بما استطاعوا من قول وفعل بأنواع المكائد والشبهات والدعاوي الباطلة ليتبين بذلك الحق ، ويتضح ويعلو على الباطل .

* وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه من هذا شيئا كثيرًا :

كما قال تَعَالىٰ : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أذى كَثِيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

فقد وضع أولئك الظالمون المشركون للنبي ﷺ وأصحابه ألقاب التشنيع والسخرية مثل : ساحر ، مجنون ، كاهن ، كذاب ، ونحو ذلك .

ولما كان أهل العلم والإيمان هم ورثة النبي ﷺ لقوا من أهل الكلام والبدع ، مثل مالقيه النبي ﷺ وأصحابه من أولئك المشركين .

فكانت كل طائفة من هذه الطوائف تلقب أهل السنة بما برأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرية : إمَّا لجهلهم بالحق حيث ظنوا صحة ما هم عليه وبطلان ما عليه أهل السنة ، وإمَّا لسوء القصد حيث أرادوا بذلك التنفير عن أهل السنة والتعصب لآرائهم مع علمهم بفسادها .

* فـ « الجهمية » ومن تبعهم من « المعطلة » : سمُّوا أهل السنة « **مشبهة** » زَعْمًا منهم : أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه .

* و « الروافض » : سمُّوا أهل السنة « **نواصب** » ؛ لأنهم يوالون أبا بكر وعمر كما كانوا يوالون آل النبي ﷺ ، والروافض تزعم : أن من والى

أبا بكر وعمر فقد نصب العداوة لآل البيت ولذلك كانوا يقولون : « لا ولاء إلا ببراء » أي : لا ولاية لآل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر .

* و « القدرية النفاة » قالوا : أهل السنة « **مجبرة** » ؛ لأن إثبات القدر جبر عند هؤلاء النفاة .

* و « المرجئة » المانعون من الاستثناء في الإيمان : يسمون أهل السنة « **شكاكا** » ؛ لأن الإيمان عندهم هو إقرار القلب والاستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة .

* و « أهل الكلام والمنطق » : يسمون أهل السنة « **حشوية** » من الحشو وهو مالا خير فيه .

- ويسمونهم : « **نوابت** » وهي بذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها .

- ويسمونهم « **غثاء** » وهو ما تحمله الأودية من الأوساخ .

لأن هؤلاء المناطقة زعموا : أن من لم يحط علما بالمنطق فليس على يقين من أمره بل هو من الرعاع الذين لا خير فيهم .

والحق أن هذا العلم الذي فخروا به لا يغني من الحق شيئا كما قال الشيخ رحمه الله في كتابه « الرد على المنطقيين » : « إني كنت دائما أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد » إهـ .

○ ○ ○ ○

الباب السادس والعشرون

في الإسلام والإيمان

□ **الإسلام** : لغة : الانقياد .

وشرعا : استسلام العبد لله ظاهرًا وباطنًا ، بفعل أوامره واجتناب نواهيه . فيشمل الدين كله .

قال الله تَعَالىٰ : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

□ **وأما الإيمان** : فهو لغة : التصديق .

قال الله تَعَالىٰ : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] .

وفي الشرع : إقرار القلب المستلزم للقول والعمل ، فهو اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل القلب والجوارح .

والدليل على دخول هذه الأشياء كلها في الإيمان :

قوله ﷺ : « الإيمان : أن تُؤْمِنَ بالله وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِهِ وَاليومِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه »[(١)] .

وقوله : « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَة فَأَعْلَاهَا قَوْل لَا إِله إِلا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَن الطَّرِيق وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ »[(٢)] .

---

(١) جزء من حديث جبريل المشهور الذي رواه مسلم (٨) (١) من حديث عمر بن الخطاب .

(٢) الحديث بهذا اللفظ والسياق : رواه مسلم (٣٥) (٥٨) من حديث أبي هريرة ، وقد أخرجه البخاري (٩) بلفظ : « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » .

ـ فالإيمان بالله وملائكته .. إلخ : اعتقاد القلب .

ـ وقول لا إله إلا الله : قول اللسان .

ـ وإماطة الأذى عن الطريق : عمل الجوارح .

ـ والحياء : عمل القلب .

وبذلك عرف : أن الإيمان يشمل الدين كله ، وحينئذ لا فرق بينه وبين الإسلام ، وهذا حينما ينفرد أحدهما عن الآخر .

○ أما إذا اقترن أحدهما بالآخر : فإن الاسلام يُفَسَّر بـ « الاستسلام الظاهر » الذي هو قول اللسان وعمل الجوارح .

* ويصدر من المؤمن كامل الإيمان وضعيف الإيمان ، قال الله تَعَالىٰ : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] .

ومن المنافق لكن يُسَمَّىٰ مسلمًا ظاهرًا ولكنه كافر باطنًا .

○ ويُفَسَّر الإيمان بـ « الاستسلام الباطن » الذي هو إقرار القلب وعمله ولا يصدر إلا من المؤمن حقا كما قال تَعَالىٰ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٢ ـ ٤] .

وبهذا المعنى : يكون الإيمان أعلى فكل مؤمن مسلم ولا عكس .

○ ○ ○ ○

فصل

في زيادة الإيمان ونقصانه

● **من أصول أهل السنة والجماعة** : أن الإيمان يزيد وينقص .

وقد دل على ذلك : الكتاب والسنة .

فمن أدلة الكتاب : قوله تَعَالىٰ ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِم ﴾ [الفتح : ٤]

ومن أدلة السنة : قوله ﷺ في النساء : « مَا رَأَيْتُ مِن نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِن إِحْدَاكُنَّ »(١) .

ففي الآية : إثبات زيادة الإيمان .

وفي الحديث : إثبات نَقْص الدين .

* وكل نص يدل على زيادة الإيمان ؛ فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس ؛ لأن الزيادة والنقص متلازمان لا يعقل أحدهما بدون الآخر .

* وقد ثبت لفظ الزيادة والنقص منه عن الصحابة ولم يعرف منهم مخالف فيه ، وجمهور السلف على ذلك :

قال ابن عبد البر : « وعلى أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الأمصار » .

وذكر عن مالك روايتين في إطلاق النقص إحداهما التوقف والثانية موافقة الجماعة .

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤) ومسلم (١٣٢) (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

* قال الحافظ في الفتح (١ / ٤٨٤) : « قوله : أذهب لِلُبٍّ : أي أشد إذهابًا ، واللُّب : أخص من العقل وهو الخالص منه ، والحازم : الضابط لأمره ، وهذه مبالغة في وصفهن بذلك ؛ لأن الضابط لأمره إذا كان ينقاد لهُنَّ فغير الضابط أولى » اهـ .

● **وخالف في هذا الأصل طائفتان :**

إحداهما : المرجئة الخالصة الذين يقولون : إن الإيمان إقرار القلب ، وزعموا : أن إقرار القلب لا يتفاوت ، فالفاسق والعدل عندهم سواء في الإيمان .

الثانية : الوعيدية من المعتزلة والخوارج الذين أخرجوا أهل الكبائر من الإيمان وقالوا : إن الإيمان إِمَّا أن يوجد كله ، وإِمَّا أن يعدم كله ومنعوا من تفاضله .

○ وكل من هاتين الطائفتين محجوج بالسمع ، والعقل :

* **أما السمع** : فقد تقدم في النصوص ما دل على إثبات زيادة الإيمان ونقصه .

* **وأما العقل : فنقول للمرجئة** : قولكم : إن الإيمان هو إقرار القلب ، وإقرار القلب لا يتفاوت : ممنوع في المقدمتين جميعًا .

* **أما المقدمة الأولى** : فتخصيصكم الإيمان بإقرار القلب مُخَالف لما دل عليه الكتاب والسنة من دخول القول والعمل في الإيمان .

* **وأما المقدمة الثانية** : فقولكم : إن إقرار القلب لا يتفاوت مُخَالف للحِسِّ ، فإن من المعلوم لكل أحد أن إقرار القلب إنما يتبع العلم ولا ريب أن العلم يتفاوت بتفاوت طرقه ، فإن خبر الواحد لا يفيد ما يفيده خبر الإثنين وهكذا وما أدركه الإنسان بالخبر لا يساوي في العلم ما أدركه بالمشاهدة فاليقين درجات متفاوتة وتفاوت الناس في اليقين أمر معلوم بل الإنسان الواحد يجد من نفسه أن يكون في أوقات وحالات أقوى منه يقينا في أوقات وحالات أخرى .

○ ونقول : كيف يصح لعاقل أن يحكم بتساوي رجلين في الإيمان :
أحدهما : مثابر على طاعة الله تَعَالىٰ فرضها ونَفْلَها مُتَبَاعد عن محارم الله وإذا بدرت منه المعصية بادر إلى الإقلاع عنها والتوبة منها ز
والثاني : مُضَيِّع لما أَوْجَب الله عليه ومُنْهَمك فيما حَرَّمَ الله عليه غير أنه لم يأت ما يكفره كيف يتساوى هذا وهذا ؟
* **وأما الوعيدية فنقول لهم** : قولكم : إن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان مُخَالف لما دلَّ عليه الكتاب والسنة .
فإذا تبين ذلك : فكيف نحكم بتساوي رجلين في الإيمان :
أحدهما : مقتصد فاعل للواجبات تارك للمحرمات .
والثاني : ظالم لنفسه يفعل ما حَرَّمَ الله عليه ويترك ما أَوْجَبَ الله عليه من غير أن يفعل ما يكفر به .
* ونقول ثانيا : هب أننا أخرجنا فاعل الكبيرة من الإيمان ، فكيف يمكن أن نحكم على رجلين بتساويهما في الإيمان وأحدهما مقتصد والآخر سابق بالخيرات بإذن الله ؟

○ ○ ○ ○

فصل

■ **ولزيادة الإيمان أسباب منها :**

١ـ **معرفة أسماء الله وصفاته** : فإن العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها وآثارها ازداد إيمانا بربه وحبًّا له وتعظيمًا .

٢ـ **النَّظر في آيات الله الكونية والشرعية** : فإن العبد كلما نظر فيها وتأمل ما اشتملت عليه من القدرة الباهرة والحكمة البالغة ازداد إيمانًا ويقينه بلا ريب .

٣ـ **فعل الطاعة** : فإن الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته ، فكلما كان العمل أحسن كانت زيادة الإيمان به أعظم وحسن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة .

وأما جنس العمل فإن الواجب أفضل من المسنون ، وبعض الطاعات أوكد وأفضل من البعض الآخر .

وكلما كانت الطاعة أفضل كانت زيادة الإيمان بها أعظم .

وأما كثرة العمل فإن الإيمان يزداد بها لأن العمل من الإيمان فلا جرم أن يزيد بزيادته .

٤ـ **ترك المعصية خوفًا من الله عز وجل** : وكلما قَوِيَ الدَّاعي إلى فعل المعصية كان زيادة الإيمان بتركها أعظم ؛ لأن تركها مع قوة الداعي إليها دليل على قوة إيمان العبد وتقديمه ما يحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسه .

■ **وأما نقص الإيمان فله أسباب :**

١ـ **الجهل بالله تَعَالَىٰ** وأسمائه وصفاته .

٢ـ **الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله** وأحكامه الكونية والشرعية

فإن ذلك يوجب مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه .

٣ـ فعل المعصية : فينقص الإيمان بحسب جنسها ، وقدرها ، والتهاون بها ، وقوة الدَّاعي إليها أو ضعفه .

* **فأما جنسها وقدرها** : فإن نقص الإيمان بالكبائر أعظم من نقصة بالصغائر ، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محترم ، ونقصه بمعصيتين أكثر من نقصة بمعصية واحدة وهكذا .

* **وأما التهاون بها** : فإن المعصية إذا صدرت من قلب متهاون بمن عصاه ضعيف الخوف منه كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت من قلب معظم لله تَعَالىٰ شديد الخوف منه لكن فرطت منه المعصية .

* **وأما قوة الداعي إليها** : فإن المعصية إذا صدرت ممن ضعفت منه دواعيها كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت ممن قويت منه دواعيها ، ولذلك كان استكبار الفقير ، وزنى الشيخ أعظم إثما من استكبار الغني وزنى الشاب كما في الحديث : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُم الله وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِم يَوْمَ القِيَامَة وَلَا يُزَكِّيهم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ... » وذكر منهم : « الأُشَيْمِط الزَّاني ، وَالعَائِل المُسْتَكْبِر »[١] ، لقلة داعي تلك المعصية فيهما .

٤ـ ترك الطاعة : فإن الإيمان ينقص به والنقص به على حسب تأكد الطاعة فكلما كانت الطاعة أوكد كان نقص الإيمان بتركها أعظم ، وربما فقد الإيمان كله كترك الصلاة .

* ثم إن نقص الإيمان بترك الطاعة على نوعين :

١ـ نوع يُعَاقب عليه ، وهو ترك الواجب بلا عذر .

---

(١) رواه مسلم (١٠٧) (١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

٢ـ ونوع لا يعاقب ، وهو ترك الواجب لعذر شرعي أو حسي ، وترك المستحب .

فالأول : كترك المرأة لصلاة أيام الحيض .

والثاني : كترك صلاة الضحى والله أعلم .

○ ○ ○ ○

فصل

في الاستثناء في الإيمان

الاستثناء في الإيمان : أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله .

● **وقد اختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال :**

أحدها : تحريم الاستثناء ، وهو قول « المرجئة » و « الجهمية » ونحوهم .

ومأخذ هذا القول : أن الإيمان شيئ واحد يعلمه الإنسان من نفسه وهو التصديق الذي في القلب ، فإذا استثنى فيه كان دليلا على شكه ، ولذلك كانوا يسمون الذين يستثنون في الإيمان « شُكَّاكًا » .

والثاني : وجوب الاستثناء ، وهذا القول له مأخذان :

١ـ أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه ، فالإنسان إنما يكون مؤمنًا وكافرا بحسب الموافاة ، وهذا شيئ مستقبل غير معلوم فلا يجوز الجزم به ، وهذا مأخذ كثير من المتأخرين من « الكلابية » وغيرهم .

لكن هذا المأخذ : لم يُعْلَم أن أحدًا من السلف عَلَّلَ به وإنما كانوا يُعَلِّلُون بالمأخذ الثاني وهو :

٢ـ أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات ، وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه ، ولو جزم لكان قد زكى نفسه وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار ، وكان ينبغي على هذا أن يشهد لنفسه بأنه من أهل الجنة وهذه لوازم ممتنعة .

القول الثالث : التفصيل :

ـ فإن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان : فهذا

مُحَرَّم بل كفر ؛ لأن الإيمان جزم والشك يُنَافِيه .

ـ وإن كان صادرا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولًا وعملًا واعتقادًا : فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور .

ـ وإن كان المقصود من الاستثناء : التبرك بذكر المشيئة أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله فهذا جائز .

* والتعليق بالمشيئة على هذا الوجه ـ أعني بيان التعليل ـ لا ينافي تحقق المعلق ، فإنه قد ورد التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة ،كقوله تَعَالىٰ ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح : ٢٧] .

* وبهذا عرف : أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء ، بل لابد من التفصيل السابق والله أعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

o o o o

حرر في ٨ من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هـ

تم والحمد الذي بنعمته تتم الصالحات .

صدر حديثاً من منشوراتنا

شرح العقيدة السفارينية

تصنيف

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع
رحمه الله تعالى

حققه وعلق عليه وضبطه

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مكتبة أضواء السلف

الفهارس العامة للكتاب

١ ـ فهرس الآيات القرآنية .
٢ ـ فهرس الأحاديث المرفوعة .
٣ ـ فهرس الآثار .
٤ ـ فهرس الموضوعات .

★★★★

١ ـ فهـــرس الآيات القـرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
« سورة الفاتحة »		
الحمد لله رب العالمين	٢	١٠٦
« سورة البقرة »		
ثم استوى إلى السماء	٢٩	١٢٩
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ...	٣٢	١٤٢
وقولوا حطة .	٥٨	٨٧
فَبَدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذى ...	٥٩	٨٧
إن الله يأمركم أن تَذْبَحوا بقرة .	٦٧	٧٣
ءَأَنتم أعلم أم الله	١٤٠	٤٤
وإلهكم إله واحد .	١٦٣	٥٥
إن الله غفور رحم .	١٧٣	٦٤
تلك عشرة كاملة .	١٩٦	٧٩
والله بكل شيءٍ عليم .	٢٨٢	٥٠
إن الله عزيز حكيم .	٢٢٠	٦٢
وعلىالمولود له رزقهن .	٢٣٣	٥٧
واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم ...	٢٣٥	٦٤
الله لا إله إلا هوالحي القيوم .	٢٥٥	٤٩ ، ١١٤
لا تأخذه سنة ولا نوم .	٢٥٥	١٩
ولا يؤُدُه حفظهما وهو العلى العظيم .	٢٥٥	٦٠
وهو العلى العظيم .	٢٥٥	١٢٢
قول معروف ومغفرة خير من ...	٢٦٣	٦٤ ، ٦٥
يؤتي الحكمة من يشاء .	٢٦٩	٥٨

« سورة آل عمران »

فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ... ٧ ١٧٦
وما يعلم تأويله إلا الله . ٧ ١٧٨
والراسخون في العلم . ٧ ١٧٨
إن الدين عند الله الإسلام . ١٩ ١٨٨
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ... ٢٦ ٦١
وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ... ٥٥ ١٥٤
ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن ... ٨٥ ١٨٨
إن الله على كل شيء قدير . ١٦٥ ٤٨
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من ... ١٧٦ ١٨٦

« سورة النساء »

وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة . ٤ ٥٩
ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى ... ٥ ٥٧
ومن كان غنيًا فليستعفف . ٦ ٥٥
وإذا حضر القسمة أولوا القربى ... ٨ ٥٧
وءاتيتم إحداهن قنطارًا . ٢٠ ٥٩
إن الله كان عليًا كبيرًا . ٣٤ ٦٠
ذلك خير وأحسن تأويلًا . ٥٩ ٧١ ، ١٨٠
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا ... ٦٠ ، ٦٢ ١٦٣
وكلم الله موسى تكليمًا . ١٦٤ ٥١ ، ١٠٦
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله ... ٨٣ ٥٨
بل رفَعَهُ الله إليه . ١٥٨ ١٢٣
لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله ... ١٦٦ ٥٠

« سورة المائدة »

ورضيت لكم الإسلام دينًا . ٣ ١٨٨
تعلمونهن مما علمكم الله . ٤ ٥٨
إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم . ٣٤ ٤٨

بل يداه مبسوطتان .	٦٤	١٥٢
« سورة الأنعام »		
وهو الله في السموات وفي الأرض ..	٣	١٢٦
لا تدركه الأبصار .	١٠٣	١٩
« سورة الأعراف »		
فلنقُصَّن عليهم بعلم وما كنا غائبين .	٧	٥٠
قل إنما حرم ربي الفواحش ...	٣٣	١٠٢
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه .	٤٣	١٥٤
هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي ...	٥٣	٧١ ، ١٨٠
إن ربكم الله الذي خلق السموات ...	٥٤	٦٧
قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم ...	١٥٧	٩٧
فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذى قيل ...	١٦٢	٨٧
ولله الأسماء الحسني فادعوه بها ...	١٨٠	٢٧ ، ٣٧ ، ١٠٥
« سورة الأنفال »		
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله ...	٢ - ٤	١٨٩
وينزل عليكم من السماء ماء ...	١١	١٢٨
إن الله مع المؤمنين .	١٩	١٣٧ ، ١٣٩
تريدون عرض الدنيا .	٦٧	٥٠
« سورة التوبة »		
فسيحوا في الأرض .	٢	١٢٨
إن أحد من المشركين استجارك ...	٦	١٥٧
فأجره حتى يسمع كلام الله .	٦	٥١
هو الذى أرسل رسوله بالهدى ...	٣٣	٩٩
لا تحزن إن الله معنا .	٤٠	١٣٧ ، ١٤٠
إن إبراهيم لأواه حليم .	١١٤	٦٤
لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...	١٢٨	٥٤

« سورة يونس »

إن ربكم الله الذي خلق السموات ...	٣ - ٦	٦٧
ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين ...	٣٩	٧١
وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ...	٦١	١٩

« سورة هود »

ويؤت كل ذي فضل فضله .	٣	٥٩
ويزدكم قوة إلى قوتكم .	٥٢	٦٢

« سورة يوسف »

وما أنت بمؤمن لنا .	١٧	١٨٨
وفوق كل ذي علم عليم .	٣٦	٤٠
وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان .	٤٣	٦١
قالت أمرأة العزيز .	٥١	٦٢
وقال الملك ائتوني به .	٥٤	٦١
فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين ...	٥٤	٥١
وإنه لذو علم لما علمّناه .	٦٨	٥٠
إنك لفي ضلالك القديم .	٩٥	٥٣
ورفع أبويه على العرش .	١٠٠	١٣٥

« سورة الرعد »

الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ...	٢ - ٤	٦٧ ، ٦٨
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ...	٤	٦٨
يُسقى بماء واحد .	٤	٥٥
عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .	٩	٦٠

« سورة إبراهيم »

إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا ...	٨	٥٥
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد .	١٥	٦٢

« سورة النحل »

إن ربكم لرءُوف رحيم .	٧	٦٤

يخافون ربهم من فوقهم . ٥٠ ١٢٢
فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ... ٥٩ ١٨٠
فلا تضربوا لله الأمثال . ٧٤ ٤٤
ما عندكم ينفد وما عند الله باق . ٩٦ ٥٣
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم ... ١٢٨ ١٤٠
« سورة الإسراء »
ولا تقف ما ليس لك به علم . ٣٦ ١٠٢ ، ١٠٥
إنكم لتقولون قولًا عظيمًا ٤٠ ٦٠
« سورة الكهف »
ولن تجد من دونه ملتحدًا . ٢٧ ٣٧
وكان وراءهم ملك ياخذ ... ٧٩ ٦١
« سورة مريم »
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ... ١٥ ٤٩
أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا . ٣٨ ٤٩
وجعلنا لهم لسان صِدقٍ عليًّا . ٥٠ ٦٠
وناديناه من جانب الطور الأيمن ... ٥٢ ١٥٤
ورفعناه مكانًا عليًا . ٥٧ ٦٠
هل تعلم له سميًّا . ٦٥ ١٦٥
« سورة طه »
طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ ... ١ - ٨ ٦٨
الرحمن على العرش استوى . ٥ ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٩
ولتصنع على عيني . ٣٩ ١٥٢
إنني معكما أسمع وارىٰ . ٤٦ ١٣٧ ، ١٤٠
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ... ١١٠ ٨٣
ولا يحيطون به علمًا . ١١٠ ٨٥ ، ٨٧ ، ١١١

« سورة الأنبياء »
وجعلنا من الماء كل شيء حي . ٣٠ ٤٩
« سورة الحج »
ولينصرن الله من ينصره ... ٤٠ ٦٢
ليدخلنهم مدخلًا يرضونه ... ٥٩ ٦٤
إن الله سميع بصير . ٧٥ ٤٨
« سورة النور »
إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله . ٣٢ ٥٥
« سورة الفرقان »
وتوكل على الحي الذي لا يموت ... ٥٨ ، ٥٩ ٦٩ ، ٨٠
« سورة الشعراء »
فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . ٦٣ ٦٠
أنت وأباؤكم الأقدمون . ٧٦ ٥٣
تالله إن كنا لفى ضلال مبين ... ٩٧ ، ٩٨ ٤٥
وإذا بطشتم بطشتم جبارين . ١٣٠ ٦١
نزل به الروح الامين على قلبك ... ١٩٣ - ١٩٥ ١٥٧
« سورة النمل »
ولها عرش عظيم ٢٣ ٦٠ ، ١٣٥
« سورة القصص »
ولما بلغ أَشُدَّه واستوى ١٤ ١٢٩
« سورة الروم »
يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت ... ١٩ ٤٩
ولله المثل الأعلى في السموات والأرض . ٢٧ ١١٣
الله الذي خلقكم من ضعف ... ٥٤ ٦٢
« سورة الأحزاب »
إن يريدون إلا فرارًا ١٣ ٥٠

« سورة سبأ »
وما أنفقتم من شيء فهو يُخْلفه .. ٣٩ ٥٧
« سورة فاطر »
ولا ينبئك مثل خبير ١٤ ٨٨
إليه يصعد الكلم الطيب . ١٠ ١١٥ ، ١٢٣
« سورة يس »
كالعرجون القديم . ٣٩ ٥٣
وتكلمنا أيديهم . ٦٥ ٥١
أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت ... ٧١ ٥٧ ، ١٥٢
إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول ... ٨٢ ٥٠
« سورة الصافات »
وجعلنا ذريته هم الباقين . ٧٧ ٥٣
فبشرناه بغلام حليم . ١٠١ ٦٤
« سورة ص »
أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب . ٩ ٦٢
وعزني في الخطاب . ٢٣ ٦٢
كتاب أنزلناه إليك . ٢٩ ١٥٧
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي . ٧٥ ١٥٠
لما خلقت بيدي . ٧٥ ١٥٠
« سورة الزمر »
اليس في جهنم مثوى للمتكبرين . ٦٠ ٦١
والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة .. ٦٧ ٦١
« سورة غافر »
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . ٣٥ ٦٠
هو الحي لا إله إلا هو . ٤٥ ٤٩
« سورة فصلت »
فأما عاد فاستكبروا في الأرض ١٥ ٦٣

« سورة السجدة »
أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك . ٢- ٩ ٦٩
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ... ١٧ ١٨٢
« سورة الشورىٰ »
ليس كمثله شيء . ١١ ١١ ، ٤٣ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٥ ، ١٦٩
وهو السميع البصير . ١١ ٨٣ ، ٨٤
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ١١ ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٥
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور . ٤١ ٦٥
« سورة الزخرف »
لتستوا على ظهوره . ١٣ ١٢٩
« سورة الجاثية »
قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ... ١٤ ٦٥
« سورة الفتح »
ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم . ٤ ١٩٠
يَدُ الله فوق أيديهم . ١٠ ٨٠
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله . ٢٧ ١٩٧
« سورة الحجرات »
قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ... ١٤ ١٨٩
« سورة ق »
وما مسنا من لغوب ٣٨ ١٩
« سورة الذاريات »
وبشروه بغلام عليم . ٢٨ ٥٠

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن ...	٥٧ ، ٥٨	٥٧ ، ٦٢
« سورة الطور »		
إنما تجزون ما كنتم تعملون .	١٦	٥٧
« سورة النجم »		
وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يُوحىٰ	٣ ، ٤	٤٤
« سورة القمر »		
تجرى بأعيننا .	١٤	١٥١ ، ١٥٢
في مقعد صدق عند مليك مقتدر .	٥٥	٦١
« سورة الرحمن »		
الرحمن علم القرآن ...	١ - ٤	٥٨
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .	٢٧	١٤٧
« سورة الحديد »		
هو الأول والآخر .	٣	٥٢ ، ٥٤
هو الأول والآخر والظاهر والباطن ...	٣ ، ٤	٦٩ ، ٧٠
هو الذى خلق السموات والأرض في ستة ...	٤	١٤٢
فإن الله هو الغني الحميد .	٢٤	٥٥
وهو معكم أينما كنتم .	٤	١٣٧ ، ١٣٩
« سورة المجادلة »		
قد سمع الله .	١	٢٤
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ...	٧	١٣٩
« سورة الحشر »		
هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب ...	٢٢ - ٢٤	١١٣
هو الله الذى لا إله إلا هو الملك ...	٢٢ ، ٢٣	٢٣ ، ٦١
« سورة الصف »		
يريدون ليطفئوا نور الله .	٨	٥٠
« سورة الجمعة »		
يسبح لله ما في السموات والأرض .	١	٦١

هو الذى بعث في الأميين رسولًا منهم ...	٢	٥٨
« سورة المنافقين »		
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .	٨	٦٢
« سورة التغابن »		
فكفروا وتولوا واستغنى الله ...	٦	
« سورة التحريم »		
وإذ أسَرَّ النبي إلى بعض أزواجه ...	٣	٥٨
« سورة الملك »		
تبارك الذى بيده الملك .	١	١٥٢
أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض	١٦	١٢٢
« سورة المعارج »		
تعرج الملائكة والروح إليه .	٤	١٢٣
« سورة الإنسان »		
إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ...	٢	٤٨ ، ٤٩
« سورة المرسلات »		
ألم نهْلِك الأولين ثم نتبعهم ...	١٦ ، ١٧	٥٤
فقدرنا فنعم القادرون .	٢٣	٢٤
« سورة البروج »		
ذو العرش المجيد	١٥	٥٠
فعال لما يريد .	١٦	٥٠
« سورة الأعلى »		
سبح اسم ربك الاعلى .	١	١٢٢
« سورة العلق »		
اقرأ وربك الأكرم	٣ - ٥	٥٨
« سورة الإخلاص »		
ولم يكن له كفوًا أحد .	٤	١٩ ، ٤٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩

١ ـ فهرس الأحاديث المرفوعة

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
(أ)		
إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم ...	البراء بن عازب	١٥٧
أسألك بكل اسم هو لك ...	ابن مسعود	٣٢
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ...	ـــــ	٥٣ ، ٥٤
أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك ...	عبادة بن الصامت	١٣٧ ، ١٣٩
اللهم اشهد .	جابر	١٢٤
اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ...	ـــــ	١٥
اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل .	ابن عباس	١٨٠
ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء .	أبو سعيد الخدري	١٢٣
ألا رجل يحملني إلى قومه لأُبَلِّغ ...	جابر	١٥٧
أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام .	ربيعة بن عامر	١٥
إنَّ ربكم ليس بأعور .	أنس	١٥١
أنَّه يسري به من المصاحف والصدور .	ـــــ	١٥٨
أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها ...	ـــــ	٧٢
الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ...	عمر بن الخطاب	١٨٨
الإيمان بضع وسبعون شعبة ...	أبو هريرة	١٨٨
أيها الناس اربعوا على أنفسكم ...	أبو موسى الأشعري	١١٤
(ث)		
ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر إليهم ...	أبو هريرة	١٩٤
(ج)		
الجار أحق بِسَقَبه .	أبو رافع	٧٢
(ح)		
حجابه النور لو كشفه لأحرقت ...	أبو موسى الأشعري	١٥١

(خ)

خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ...	ابن مسعود	١٠١
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ...	العرباض بن سارية	٩٧

(ف)

فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق ...	جابر	٧٢
فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم .	أبو هريرة	١٢٣

(م)

ما السموات السبع والأرضون السبع ...	أبو ذر	١٣٥
ما رأيت من ناقصات عقل ودين ...	ابن عمر	١٩٠
من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني ...	-	١٤٥

(ل)

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت ...	أنس	٣٣
لا يصعد إلى الله إلا الطيب .	أبو هريرة	١٢٣
لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه	قتادة بن النعمان	١٣٠
وأسألك لذة النظر إلى وجهك ...	زيد بن ثابت	١٤٧

(و)

والعرش فوق ذلك والله فوق العرش .	-	١٢٣

(ي)

يد الله ملأى سحاء الليل والنهار ...	أبو هريرة	١٤٩
يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ...	أبو موسى الأشعري	١٢٣
يقبض الله سمواته بيده ...	أبو هريرة	١٥٠
يقول الله تعالى : يا آدم فيقول لبيك ...	أبو سعيد الخدري	١٥٤
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين ...	أبو هريرة	١٤٤
ينظر إليكم أزلين قنطين .	أبو رزين	١٥١

○○○○

٢ ـ فهرس الآثار

أدركت الناس منذ سبعين سنة ...	عمرو بن دينار	١٥٨
إذا قال لك الجهمي : إن الله ينزل ...	ـــــ	١٣١
الاستواء غير مجهول والكيف ...	مالك بن أنس	٧٧ ، ١٣٠
أمروها كما جاءت .	مكحول والزهري ..	١١٩
أنا من الراسخين في العلم .	ابن عباس	١٧٧
تفسير القرآن على أربعة أوجه .	ابن عباس	١٨١
حدثنا الذين كانوا يقرؤننا ...	أبو عبد الرحمن السلمي	١٧٨
حُكمي في أهل الكلام أن يضربوا ...	الشافعي	١٧٠
الصمد : السيد الذي قد كمل ...	ابن عباس	٣٦
الذي ينتهي إليه السؤدد ...	الزجاج	١٧
الذي ليس فوقه أحد .	عكرمة	١٦
كان أبو المعالي الجويني يقول ...	-	١٢٥
الكرسي موضع القدمين والعرش ...	ابن عباس	١٣٥
كنا والتابعون متوافرون نقول ...	الأوزاعي	١٢٤
لا يفلح صاحب كلام أبدًا .	الإمام أحمد	١٧٠
لقد تأملت الطرق الكلامية ...	الرازي	١١٥
لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر ...	أبو ذر	١٠٠
ليس في الدنيا شيء مما في الجنة ...	ابن عباس	١٨٢
من شبّه الله بخلقه فقد كفر ...	نعيم بن حماد	١١٨
من قال لفظي بالقرآن مخلوق ...	الإمام أحمد	١٥٩
نؤمن بها ونصدق لا كيف ولا معنىٰ .	الإمام أحمد	١٢٠
هو السيد الذي انتهىٰ سُؤْدُده .	أبو وائل	١٦
هو السيد الذي كمل في سُؤْدُده .	ابن عباس	١٦
يا أبا عبد الله : الرحمن على العرش استوى ..	ـــــ	١٣٠

○○○○

٤ ـ فهرس الموضوعات

□ **مقدمة** ٥

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية ٧

ترجمة الحافظ ابن قيم الجوزية ٨

ترجمة العلامة محمد الأمين الشنقيطي ٩

ترجمة الشيخ محمد الصالح العثيمين ١٠

□ **الرسالة الأولى : القواعد المهمات في الأسماء والصفات للحافظ ابن القيم الجوزية** ١١

● **أقسام ما يجري صفة عن الرب تبارك وتعالى :** ١٣

أحدها : ما يرجع إلى نفس الذات ١٣

الثاني : ما يرجع إلى صفات معنوية ١٣

الثالث : ما يرجع إلى أفعاله ١٣

الرابع : ما يرجع إلى التنزية المحض ١٣

الخامس : الاسم الدال على جملة أوصاف لا تختص بصفة معينة ١٤

السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر ١٨

● **عشرون قاعدة نفيسة في أسماء الله تعالى وصفاته** ٢٠

أحدها : أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تَعَالىٰ أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ٢٠

الثاني : أن الصِّفة إذا كانت منقسمة إلى كَمَالٍ ونَقْصٍ لم تدخل بمطلقها في أسمائه ، بل يُطْلق عليه منها كمالها ٢١

الثالث : أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مُقَيَّدًا أن يشتق له منه اسم مطلق ٢١

الرابع : أن أسماءه الحُسْنَىٰ هي أعلام وأوصاف ، والوصف بها لا ينافي العلمية ٢٢
الخامس : أن الاسم من أسمائه له دلالات :..... ٢٢
السادس : أن أسماءه الحُسْنَىٰ لها اعتباران :..... ٢٣
السابع : أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ومايطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيًا ٢٣
الثامن : أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلا ومصدرًا ٢٤
التاسع : أن أفعال الرب تبارك وتَعَالىٰ صادرة عن أسمائه وصفاته وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم ٢٤
العاشر : إحصاء الأسماء الحُسْنَىٰ والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم ٢٥
الحادي عشر : أن أسماءه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلا ٢٦
الثاني عشر : في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة ٢٧
الثالث عشر : اختلف النظار في الأسماء التي تطلق على اللّه وعلى العباد ٢٨
الرابع عشر : أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاث اعتبارات : ٢٩
الخامس عشر : أن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة: ٣١
السادس عشر : أن الأسماء الحُسْنَىٰ لا تدخل تحت حصر ، ولا تُحَدُّ بعدد ٣٢
السابع عشر : أن أسماءه تَعَالىٰ منها مايطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره وهو غالب الأسماء ٣٣
الثامن عشر : أن الصفات ثلاثة أنواع : ٣٤

التاسع عشر : أن من أسمائه الحُسْنَىٰ مايكون دالا على عِدَّة صفات ٣٦
العشرون : معرفة الإلحاد في أسمائه ٣٧

★★★

□ **الرسالة الثانية** : « **مَنْهَج ودراسات لآيات الأسماء والصفات** » **للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي** ٤١
● **مبحث آيات الصفات يتركَّز على ثلاث أُسس** ٤٣
● **تقسيم المتكلمين للصفات والرد عليهم** ٤٦
ـ صفات المعاني عند المتكلمين ٤٨
ـ الصفات السلبية عند المتكلمين ٥٢
ـ عدُّ الصفات السبع لا وُجه له ٥٦
ـ الكلام على صفات الأفعال ٥٧
ـ الكلام على الصفات الجامعة ٦٠
ـ الصفات التي اختلف فيها المتكلمون ٦٤
ـ إثبات صفة الاستواء ٦٦
● **الكلام على التأويل الذي فتن به الخلق** ٧١
اعتقاد التشبيه أولًا هو سبب التعطيل ٧٤
● **نقطتين هامتين** ٧٦
ـ هل آيات الصفات من المتشابه ؟ ٧٧
سؤال مهم ٧٩
ـ الرد على المتكلمين وإلزامهم بمقتضى قواعدهم ٨١
● **خاتمة بها نقاط مهمة** ٨٣
ـ الرد على قولهم : « مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أحكم وأعلم » ٨٨

★★★

□ **الرسالة الثالثة : فتح رَبّ البرية بتلخيص « الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية » لابن عثيمين** ٩٣
مقدمة ٩٥
الباب الأول : فيما يجب على العبد في دينه ٩٧
الباب الثاني : فيما تضمنته رسالة النبي ﷺ من بيان الحق في أصول الدين وفروع ٩٩
الباب الثالث : في طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته ١٠٤
الباب الرابع : في بيان صحة مذهب السلف وبطلان القول بتفضيل مذهب الخلف في العلم والحكمة على مذهب السلف ١١١
الباب الخامس : في حكاية بعض المتأخرين لمذهب السلف ١١٧
الباب السادس : في لبس الحق بالباطل من بعض المتأخرين ١١٨
الباب السابع : في أقوال السلف المأثورة في الصفات ١١٩
الباب الثامن : في علو اللّه تَعَالَىٰ وأدلة العلو ١٢٢
الباب التاسع : في الجهة ١٢٧
الباب العاشر : في استواء الله على عرشه ١٢٩
الباب الحادي عشر : في المعية ١٣٧
الباب الثاني عشر : في الجمع بين نصوص علو اللّه بذاته ومعيته ١٤١
الباب الثالث عشر : في نزول الله إلى السماء الدنيا ١٤٤
فصل : في الجمع بين نصوص علو الله تَعَالى بذاته ونزوله إلى السماء الدنيا ١٤٦
الباب الرابع عشر : في إثبات الوجه لله تَعَالىٰ ١٤٧
الباب الخامس عشر : في يدي الله عز وجل ١٤٩

الباب السادس عشر : في عيني الله تَعَالى ١٥١

الباب السابع عشر : في الوجوه التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين ١٥٢
الباب الثامن عشر : في كلام الله سبحانه وتَعَالى ١٥٤
فصل : في أن القرآن كلام الله ١٥٧
فصل : في اللفظ والملفوظ ١٥٩
الباب التاسع عشر : في ظهور مقالة التعطيل واستمدادها ١٦٠
الباب العشرون : في طريقة النفاة فيما يجب إثباته أو نفيه من صفات الله ١٦٣
فصل : فيما يلزم على طريقة النفاة من اللوازم الباطلة ١٦٥
فصل : **فيما يعتمد عليه النفاة من الشبهات** ١٦٧
الباب الحادي والعشرون : في أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل قد جمع بين التعطيل والتمثيل ١٦٩
الباب الثاني والعشرون : في تحذير السلف عن علم الكلام ١٧٠
الباب الثالث والعشرون : في أقسام المنحرفين عن الاستقامة في باب الإيمان باللّه واليوم الآخر ١٧٢
فصل : مذهب أهل التأويل في نصوص المعاد ١٧٥
فصل : وأما أهل التجهيل ١٧٦
تنبيه : ١٨٠
فصل : فيما روي عن ابن عباس في أوجه تفاسير القرآن ١٨١
الباب الرابع والعشرون : في انقسام أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها ١٨٣
الباب الخامس والعشرون : في ألقاب السوء التي وضعها المبتدعة

على أهل السنة ١٨٦

الباب السادس والعشرون : في الإسلام والإيمان ١٨٨
فصل : في زيادة الإيمان ونقصانه ١٩٠
فصل : ولزيادة الإيمان أسباب منها ١٩٣
فصل : في الاستثناء في الإيمان ١٩٦
فهرس الموضوعات ١٩٩

○○○○